

الفصل الثالث

المروانيون المتقدمون

(٦٤-٨٦هـ / ٦٨٣-٧٠٥م)

obeikandi.com

مروان بن الحكم بن أبي العاص^(١) (٦٤-٦٥هـ/٦٨٢-٦٨٤م)

كان عهد يزيد بن معاوية مشحوناً بالصراعات والفتن التي فتت عضد الدولة الأموية، ثم تسلم ابنه معاوية بن يزيد الخلافة فلم يستطع أن يعي الأمور إلى سابق عهدها، فأثر التخلي عنها، فعاشت دمشق عاصمة الدولة فراغاً سياسياً عملت القبائل البيانية على حسمه لصالح الأمويين لأنها وجدت من مصلحتها استمرار توليهم الحكم خشية من انتقام القبائل القيسية التي بدأت ترى أن من مصلحتها مساندة دعوة ابن الزبير، فعمل هذا التنافس القبلي على تهيئة الأجواء لانتخاب خليفة يتصف بالحنكة والدهاء والتدبير في ظل ظروف صعبة تحتاج إلى قيادة عملية لا إلى قيادة شكلية مترفة تستند على حق ورائي يقودها إلى ميادين القتال بغير خبرة، لذا وقع الاختيار على مروان بن الحكم كبير بني أمية وأكثرهم استعداداً لمجابهة الخصوم.

وكان مروان والى المدينة ليزيد بن معاوية فطرده ابن الزبير فقال راجزه:

حَرَّمْ مروان عليهن النَّوْمُ إِلَّا قَلِيلًا وتَلَاهُن القَوْمُ
حتى يَقْلَنَ أَيْبَتَنَ بالدَّوْمِ^(٢)

وحين مات معاوية بن يزيد سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) قام مروان على قبره "فقال: أتدرون من دفنتم قالوا نعم معاوية بن يزيد قال بل أبا ليلى يستطعه وكانوا يكونون كل ضعيف أبا ليلى"^(٣) فقال بعض بني فزارة:

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، صحابي، (ت، ٦٥هـ/٦٨٤م).

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/١٤٤.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/٢٧. والدَّوْمُ على مسيرة ليلتين من المدينة.

(٣) نفسه، ٢-٤/٦٢.

لا تخدعن فإن الأمر مختلف والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا^(١)

وأخذ مروان يتشوف إلى الخلافة حتى كان مؤتمر الجابية^(٢) الذي اتفقت فيه القبائل اليمانية على مبايعته^(٣) فقال مروان حين بويع له ودعا لنفسه:

لما رأيتُ الأمرُ أمراً نهباً يَسْرَتُ غَسَّانَ لهم وکلبا
والسكسكين رجالاً غلبا وطِيَّئاً تاباه إلا ضربا
والقین تمشى فى الحديد تُكبا ومن تَنُوخُ مُشُوخراً صعبا
لا يأخذونَ المُلک إلا غصبا وإن دَنَّت قيسٌ فقل لا قُربا^(٤)

يشير هذا النص إلى القبائل التي ساندت مروان بن الحكم في صراعه مع ابن الزبير، ويكشف عن تدمره من قبائل قيس التي ساندت ابن الزبير وثارَت ضد حكم الأمويين في الشام.

كان مروان يلقب بخيط باطل لدقته، فلما بويع بالخلافة قال عبدالرحمن بن الحكم أخوه:

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل حليلة مضروب القفا كيف يصنع
لحى الله قوماً أمروا خيط باطل على الناس يعطى ما يشاء ويمنع^(٥)
وقال أبو دهبيل الجمحى يعرض به:
يدعون مروان كيما يستجيب لهم
وعند مروانَ خَارَ القوم أو رَفَدوا

(١) نفسه.

(٢) الجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٩١-٩٢ (الجابية).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٩؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٨؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٨ وأثبت روايته؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٨٧؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٩٤م): التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٢٩؛ البيت الثاني عند المسعودى: مروج، ٣/ ٨٦.

قد كانَ في قوم موسى قبلهم جسد عجل إذا خار فيهم خورةً سجّداً^(١)

كشفت معركة مرج راهط^(٢) في سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)^(٣) عن حالة التصدع في وحدة الدولة الأموية من خلال ظهور الأهواء الفردية والطموحات السياسية فزادت الصراعات القبلية من حدة التنافس للوصول إلى السلطة، ثم استقر بعد ذلك الأمر للأمويين في الشام، فكان الناس فريقين بحدلي^(٤) وزُبيري كما قال عبدالرحمن بن الحكم:

وما الناسُ إلّا بحدلي عن الهوى وإلا زُبيري عَصَى فَتَزُبِرَا^(٥)

مما يكشف عن حالة التمزق القائم الذي يستهدف القضاء على حكم الأمويين في الشام وإسناد الخلافة لابن الزبير الذي أصبح يعتمد على ولاء القبائل القيسية، وإلى هذا يشير زفر بن الحارث الكلابي^(٦) (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م) زعيم قبائل قيس بقوله:

أفى الله إماً بحدلٍ وابنُ بحدلٍ فيحيا وإماً ابن الزبير فيقتل^(٧)

لهذا قال حسان بن مالك بن بحدل زعيم قبيلة كلبس حين سلّم الأمر إلى مروان:

(١) ديوانه، ٨٠.

(٢) موضع في الغوطة من دمشق في شرقية. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٢١ (راهط).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.

(٤) نسبة على حسان بن بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي زعيم قبائل اليمن ابن أخي ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية. ابن حزم: جهرة، ٤٥٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ١٣٢؛ التبريزي، يحيى بن علي (ت، ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): شرح ديوان الحماسة، الجزء الثاني (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).

(٦) أبو الهذيل، زفر بن الحارث بن عمرو الكلابي، شاعر وزعيم قبلي. رجته: الأمدى: المؤلف، ١٩٨؛ التبريزي: شرح، ١/ ٧٩.

(٧) زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥هـم ٦٩٥م): شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥٠)، الجزء (الأول)، (بغداد، ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤م)، ١٦٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

فإِلا يَكُن مِنَّا الخَلِيفَةُ نَفْسُهُ وَمَا نَالَهَا إِلا وَنَحْنُ شُهُودٌ^(١)
وَقَالَ بَعْضُ الكَلْبِيِّينَ:

نَزَلْنَا لَكُمْ عَن مِّنِيرِ المُلْكِ بَعْدَمَا ظَلَلْتُمْ وَمَا أَن تَسْتَطِيعُونَ مِتْبِرًا^(٢)
وَدَعَا مروانُ اِيمَنَ بنَ خَريمِ الأَسَدِي للقتالِ مَعَهُ، فَقَالَ اِيمَنُ:

وَلَسْتُ مُقَاتِلًا رَجُلًا يَصِلِي عَلَي سُلْطَانِ آخِرِ مَن قَرِيشِ
لِسِهِ سُلْطَانِهِ وَعَلَي إِثْمِي مَعَاذَ اللَّهِ مَن سَفِهَ وَطِيشِ
أَقْتُلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ؟ فَلَسْتُ بِنَافِعِي مَا غُشْتُ عَيْشِي^(٣)

وَحِينَ احْتَدَمَ القِتَالُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ عَلَي مَقْرِبَةٍ مِّنَ دَمَشقِ قالِ بِشَرِ بنِ مروانِ بنِ
الحِكمِ^(٤) (ت، ٧٥هـ/٦٩٥م):

إِنَّ عَلَيَ الرَّئِيسَ حَقًّا حَقًّا أَن يُخَضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنَدَقًا^(٥)
وَكَانَتِ قَبَائِلُ قَيْسٍ قَدِ اجْتَمَعَتِ إِلى زَفرِ بنِ الحارثِ فَقَالَ:

لَعَمْرِي لَقَدِ أَبَقْتَ وَقِيعةَ رَاهِطٍ لِحِسانِ صَدْعًا يَبِينُنا مُتَنَاقِيا
فَقَدِ يَنبِتُ المَرعى عَلَي دِمَنِ الثَّرِيِّ وَتَبقى حِزازاتِ النَفوسِ كَمَا هِيا
أَتَذْهَبُ كَلْبٌ لَم تَنلْها رِماحُنا وَتَتَرَكَ قَتْلِي رَاهِطٍ هِيا ما هِيا^(٦)

وَفَرَّ مَن مَرَجَعَ رَاهِطٍ إِلى قَرِيسِيا^(٧)، فَرِاحٌ يَتَذَكَّرُ مَن قَتَلَ مَن أَصْحابِهِ:

(١) البلاذرى: أنساب، ١٣٥/٥.

(٢) نفسه.

(٣) اِيمَنُ بنُ خَريمِ الأَسَدِي: دِوانُهُ، تَحقيقُ الطِيبِ العِشاشِ (مُؤسَّسةُ المَواهِبِ لِلطَباعَةِ والنِشرِ، بَيرُوتِ، الطَبعةُ الأُولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٤٩؛ البلاذرى: أنساب، ١٣٥/٥.

(٤) تَرجَمَتُهُ: اِبْنُ حِزَمٍ: جَهمرة، ١٠٦؛ الذَّهَبِيُّ: سِير، ١٤٥/٤.

(٥) البلاذرى: أنساب: أنساب، ١٤١/٥-١٤٢؛ الطبرى: تاريخ: ٥٤١/٥-٥٤٢.

(٦) شِعْرُهُ، ١٧١؛ البلاذرى: أنساب، ١٤١/٥-١٤٢؛ الطبرى: تاريخ: ٥٤١/٥-٥٤٢.

(٧) مَربِ كَرِيسِيا بَلدِ عَلَي نَهرِ الخابُورِ. ياقوت: مَعجمُ البَلدانِ، ٤/٣٢٨ (قَرِيسِيا).

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أساته بصالح إيامى وحسن بلائيا
أبعدَ ابن عمرو وابن معن تتابعاً ومقتل همام أمني الأمانيا^(١)

وأذكت هذه الواقعة نار الصراعات القبلية فاعتمد الأمويون على خوؤلتهم من
كلب إحدى قبائل قضاة في صراعهم مع مناوئهم؛ لذا رد رجال كلب على
زفر، فهذا جواس بن القعطل الكلبي^(٢) يقول:

لعمري لقد أبقت وقيةً راهطٍ على زُفرٍ داءٍ من الداءِ باقيا
يُيكى على قتلى سليمٍ وعامرٍ وذبيانَ معذوراً ويكى البواكيا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى سيوفَ جنابٍ والطَّوالَ المذاكيا^(٣)

وأجاب عمرو بن مخلدة الكلبي^(٤) زفر بن الحارث فقال:

بكى زُفر القيسى من هلكِ قومه بعبرة عين ما يجفُّ سجومها
يُيكى على قتلى أصيبت براهطٍ تجاؤبه هامُ القفارِ ويومها
أبجناً حمى للحى قيسٍ براهطاً وولت شلالاً واستييح حرُمها^(٥)

كان عمرو بن مخلدة أحد فرسان معركة مرج راهط فذكر أشهر من قتل فيها حين
قال:

(١) شعره، ١٧٢؛ الطبري: تاريخ، ٥٤٢/٥.

(٢) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبي،
والقعطل أبوه واسمه ثابت. شاعر فارس أحد مناصري الأمويين (ت، نحو ٧٠هـ/٦٨٩م).

ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٩٩؛ ابن حزم: جهرة، ٥٤٦.

(٣) البلاذري: أنساب، ٥/١٤٤؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥٤٢؛ الأمدى: المؤلف، ٩٩؛ البكري: التنبيه،
٢٦٨.

(٤) هو عمرو بن مخلدة أو مخلي أحد بني عدي بن جناب الكلبيين، شاعر فارس عاش في عهد الملك بن
مروان (ت، نحو ٨٦هـ/٧٦٠م). ترجمته: ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١٢٣؛ المرزباني، معجم
الشعراء، ٦٨.

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/٥٤٣.

أصابت رماحُ القومِ بشراً وثابتاً
 طَعَنًا زياداً في أسته وهو مديراً
 وأدركَ همَّامًا بأبيضِ صَارِمِ
 وقد شَهِدَ الصَّفِّينِ عَمْرُو بنَ محرزِ
 وَحَزْنَا وَكُلٌّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعُ
 وثورا أصابته السيوفُ الصوارمُ
 فتى من بنى عمرو طوالٍ مشايعُ
 فضاقَ عليه المُرْجُ والمُرْجُ واسعُ^(١)

فهو يشير على ثور بن معن السلمى وهمام بن قبيصة النميري، وكان الوازع بن ذؤالة الكلبي قتل همامًا بعد أن أبى الفرار^(٢)، وهو يقول:

ألا يا ابن ذاتِ النوقِ أجهز على امرئِ
 ولا تتركنى بالحِشاشَةِ إننى
 يرى الموتَ خَيْرًا من فرارٍ وأكرماً
 أكرُّ إذا ما الناسَ مثلكَ أحجماً^(٣)
 فقال الوازع^(٤):

تنسى الذى أسديته يومَ راهطِ
 وأقبلَ حادى الموتِ يحدو مُشَمَّرًا
 عليها قرومٌ من قضاة سادة
 إذا لَقِحت حربٌ مرتها سيوفُهم
 يَروُنَ ورودَ الموتِ حَقًّا عليهم
 فكم من كَرِيمٍ قَد تَرَكْنَا مَلْحَمِيًّا
 وقد ضاقَ عنكَ المُرْجُ والمُرْجُ واسعُ
 بفرسانِ حَرَبٍ لم تَرعها الرِّوائعُ
 لهم شريمٌ محمودٌ ودسائِعُ
 وأيَّدس طوالٌ لم تَخُنْها الأشاجِعُ
 إذا حادَ عن وُردِ المنايا المخادِعُ
 وآخرَ قد سُدَّتْ عليه المطامِعُ^(٥)

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م: ديوان الحماسة، تحقيق عبدالمنعم أحمد صالح (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م)، ١٨٢؛ البلاذرى: أنساب، ١٤٨/٥؛ التبريزى: شرح، ٢/٩٨؛ ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمنعم الملوحى وأسَاء الحمصي، الجزء الثاني وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م)، ١٧٢. ولزفر أجوبة عليه في شعره، ١٦٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ١٣٦/٥. وهمام سيد قومه. ينظر: ابن الكلبي: جهرة، ٣٧٥.

(٣) البلاذرى: أنساب، ١٣٧/٥.

(٤) أحد بني كلب. البلاذرى: أنساب، ١٣٧/٥ و ١٤٦.

(٥) البلاذرى: أنساب، ١٤٦/٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤١. وحول ما قال عمرو بن مخلدة ينظر:

المرزباني: معجم الشعراء، ٤٥.

ووثق ابن طرّامة الكلبى عدد من قتل بثلاثة آلاف فقال:

وبادية الجواعر من ثمير
قتلنا منكم ألفين صبرا
ثنادى وهى حاسرة النقاب
وألفا بالتلّاع وبالرؤابى^(١)

كما أشار زفر بن الحارث لبعض من قتل فى المرج فقال:

ابعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومن بعد همّام أمنى الأمانيا^(٢)

وحين قتل همّام بن قبيصة فى وقعة مرج راهط رثته عميرة بنت عامر الجعونية
فقالت:

لقد فجعتنى الحادثات بسيد
أعزّ إذا ماشى الرجال علاهم
هم يردون الموت إذا طاب ورده
فإن كان همّام أتته منية
ولا حائداً عن قرينه إذ تبادرت
لقد كرت حتى ناله الموت مقدما
فإن تك كلب أقصدته فرما
وغادرهم شتى عزين فلولهم
كريم نشأ من ثمير بن عامر
بآباء صدق جدّهم غير عاثر
بييض خفاف فى الأكف مؤاثر
فما كان وقافا غداة التغاور
فوارس قيس بالرمّاح الشواجر
وحامى بمسنون الغرارين باثر
رمى حى كلب بالدواهى الفواثر
على كلّ عد من مياه قراقر^(٣)

وحين قتل زحنة بن عبدالله الكلبى^(٤) الضحّاك بن قيس الفهرى^(٥) قال رويغ
البلوى^(٦):

(١) البلاذرى: أنساب، ١٤٨/٥ وطرّامة أمه.

(٢) شعره، ٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥٤٢/٥.

(٣) البلاذرى: أنساب، ١٤٣/٥.

(٤) أحد بني تيم بن رفيدة بن ثور بن كلب. نفسه، ١٣٩/٥.

(٥) قتل فى مرج راهط سنة (٦٦٤هـ/٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٤١/٧؛ ابن كثير: أسد الغابة، ١٤٩/٣.

(٦) ينظر: البلاذرى: أنساب، ١٣٩/٥.

ويومَ نَدا الضُّحَاك حينَ تَأَلَّبَتِ
حِشَاهُ ابنِ تيمم اللاتِ زحنة ثعلبًا
علينا العدى من كلِّ شرقٍ ومغرب
طريقاً كقبس القابسِ المتلهب^(١)

وحفظ هذا الشعر أسماء المقتولين ومن قتلهم وأسماء قبائلهم، فكان شعر الرثاء وثيقة يتناقلها الرواة ويحفظها شعراء القبائل الذين يتفاخرون في حفظ وقائع قبائلهم، ومن ذلك ما وثقه الشعر عن مقتل خالد بن حصين الكلابي من قبائل قيس وعلاقة ذلك بشخصيتي بشر بن مروان وعمرو بن سعيد كما في قول الشاعر:

توى خالدٌ بالمرج غيرَ مُلُومٍ
لعمري لقد أرداه بشرٌ لحينه
فهلأبني العاصي ذكرتم بلاءه
براهط إذ عبد العزيز مَعْفَرٌ
ولا برم عام الرياح الصَّوَّارِدِ
وعمرو فقد نالا كريمَ المشاهِدِ
وما شاكر المعروف يوماً كجاجِدِ
لدى مُسنِدٍ منكم وآخر ساجِدِ
عليه بأيدينا بواءٌ لخالد^(٢)
فلا صلح أو تزقوا لمروانَ هامةً

يلوم الشاعر بنى أمية لأنهم لم يشفعوا لخالد حتى يتحول لومه إلى تهديد واضح لشخص مروان فيجعله بواءً لخالد، أى عدلاً يثار به، بينما يضع الضحاك بن فيروز الديلمي تبعة مقتل النعمان بن بشير الأنصاري^(٣) على قبائل حمير التي قتلته حين كان والي بن الزبير على حمص^(٤) فيقول:

زعموا بأن أخا التفضل والندي
غدروا بنُعمان بن سعدٍ غدره
قتلته غدرًا إذ تعاورت حميرُ
ولرأس حميرٍ مثلها أو أكثر^(٥)

(١) البلاذري: أنساب، ١٣٩/٥.

(٢) نفسه، ١٦٦-١٦٧/٥.

(٣) هو النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي كان عشائياً ثم مال مع ابن الزبير (ت، ٦٦٤هـ/٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/٥٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣٢٦/٥.

(٤) حمص: قلعة بين دمشق وحلب، ياقوت: معجم البلدان، ٢/٣٠٢ (حمص).

(٥) البلاذري: أنساب، ١٤٧/٥. ينظر: أيضاً ما قاله عبد الرحمن بن الحكم في هذا الموضع.

ويشير عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان إلى أثر قبيلة كلب في معركة مرج راهط وهي تصارع قبيلة قيس عيلان فيقول:

أتذهبُ كلبٌ قد حمتها رماحُها وتتركُ قتلى راهط ما أجنّت!
لحا الله قيسًا قيسَ عيلانَ إنها أضاعت تُغور المسلمين وولّت
فباؤ بقيس في الرّخاء ولا تكن أخاها إذا ما المشرفيّة سُلت^(١)

وحين عاد مروان بن الحكم إلى دمشق بعد انتصاره في معركة مرج راهط قال بعض أنصاره بعد أن علموا قوة شوكة القبائل التي تحيط به وتدافع عن دولة الأمويين:

الله أعطاك التى لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها^(٢)

فلما اجتمع أمر الخلافة لمروان، وفرغ من الحروب التي تشغله دخل عليه أرطاة بن سهية فهناه وكان خاصًا به^(٣) فقال:

وسادت معداً على رغوها قريشٌ وسُدت قريشًا غلاما
جُعلت على الأمر فيه صفا فما زال عمزك حتى استقاما^(٤)

هذه إشارة على صراعات القبائل، وطموح قريش في السيادة على معد، فقد شاع في هذا الوقت الشعر الذي يعبر عن وجهة نظر الأطراف المتصارعة حول السلطة، ويؤشر الوقائع الحربية التي درات بين هذه الأطراف وما جرى فيها من خسائر في الأموال والرجال فقدم هذا الشعر مادة تاريخية للباحث في فهم طبيعة الصراعات والأحداث.

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٤. ينظر: أيضًا ما قاله عويج الطائي عن كلب في هذا الموضوع.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣١.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

(٤) شعره، ١٨٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

وفي سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)^(١) بعد موت معاوية بن يزيد وخشية الفتنة عهد سلم بن زياد ولاية خراسان إلى عبدالله بن خازم السلمي^(٢) فنشب الصراع بينه وبين سليمان بن مرثد، فأدى ذلك إلى مقتل أخيه عمرو بن مرثد^(٣) وهزيمة جيشه، فقال الشاعر:

أتذهب أيام الحروب ولم تُبئْ زهير بن حَيَّانَ بعمرو بن مرثد^(٤)

وفي ذلك يقول^(٥) المغيرة بن حبياء:

وفي الحرب كنتم في خراسان كلها قتيلاً ومسجوناً بها ومسيراً
ويوم احتواكم في الحفيرا بن خازم فلم تجدوا إلا الخنادق مقبراً
ويوم تركتم في الغبار ابن مرثد وأوساً تركتم حيث ساروا عسكراً^(٦)

واغتنم الترك فرصة الصراع بين الأطراف العربية المتنازعة فأغاروا عليهم، فلما هزم زهير ابن حيان الترك^(٧) قال كعب بن معدان الأشقري^(٨) (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) وهو من الشعراء الفرسان:

أتاك أتاك الغوث في برق عارضٍ ذروعٌ وبيضٌ حشوهُنَّ تميمٌ
أبوا أن يضمُّوا حشواً ما تجمع القرى فضمَّهم يوم اللقاء صميمٌ

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٤٥-٥٤٧.

(٢) توفي سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م). ترجمته: الذهبي: العبر، ١/ ٢٥؛ ابن حجر. تهذيب، ٥/ ١٧٠.

(٣) سليمان بن مرثد وعمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة. الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٦.

(٤) نفسه، ٥/ ٥٤٧.

(٥) من ربيعة بن حنظلة التميمي، وحبياء لقب غلب على أبيه لحين أصابه، وهو ورم البطن، شاعر أموي (ت، ٩١هـ/ ٧١٠م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣١٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٨٦.

(٦) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٥١. والأبيات غير المذكورة في مجموع شعره.

(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٨) شاعر فارس من الأزدي، من أصحاب المهلب بن أبي صفرة. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢٦٦؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢٣٦.

ورزقهُمُ من رائحاتٍ تزيئُها ضرورٌ عَرِيضاتِ الخواصرِ كومٍ^(١)

وهو يمدح زهير بن حيان وبني تميم لقتالهم الترك، وإلى هذا أشار أحد فرسان الأزد ثابت قطنة^(٢) فقال:

فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسَ من تَمِيمِ
فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسًا اِكْتَفُونِي
بِقَصْرِ البَاهِلِيِّ وَقَد رَأُونِي
بِسَيْفِي بَعْدَ حَطَمِ الرِمْحِ قَدْحًا
أَكْرُ عَلَيْهِمُ اليَحْمومَ كَرًّا
كَكْرَ الشَّرْبِ أَنِيَةِ المُدَامِ
حتى يقول:

إِذْ ن لَسَعَتِ نِساءَ بَنِي دِثَارِ
أمامَ التُّرُكِ بِأَدِيَةِ الخُدَامِ^(٣)

يبدو هذا الشعر صورة حية للأحداث والوقائع، فهو أشبه بالوثيقة التي تحفظ الأسماء والأحداث، وتكشف عن كيفية مجابهة الحرب بإقامة الخنادق، وهؤلاء الشعراء هو من فرسان الحروب المجريين الذين يرون في الخندق هروبًا من مواجهة العدو، فضلًا عن كون هذه النصوص توثق الأمكنة التي حصلت فيها الوقائع، فكانت صورة نابضة بالحقيقة التاريخية.

بعد أن استقر مروان بن الحكم في الشام سار إلى مصر فدخلها سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)^(٤) فأشير عليه بحفر الخندق حول القسطنطينية^(٥)، فوافقهم وحفره في شهر واحد وفي ذلك قال شاعرهم:

(١) الأشقري، كعب بن معدان (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣): شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٦: الطبري: تاريخ، ٥٤٩/٥.

(٢) ثابت بن كعب، من فرسان الأزد سمي قطنة لوضعه قطنة في عينه التي أصيبت بسهم (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٥٢٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢٤٧.

(٣) ثابت قطنة العتكي (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م): شعره، تحقيق ماجد أحمد السامرائي (مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٥٥-٥٦؛ الطبري: تاريخ، ٥٤٩/٥.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٧.

(٥) القسطنطينية: ضرب من الأبنية وبه سميت القسطنطينية. ياقوت: مع البلدان، ٤/ ٢٦٣ (القسطنطينية).

وما الجدُّ الأمثلُ جدُّ ابنِ جَحدِمِ وما العَزمُ إلا عزمُهُ يومَ خَندَقِ
ثلاثون ألفاً هم أثاروا ترابَهُ وخذوه في شهرٍ، حَدِيثُ مُصدِّقِ^(١)

فوثق هذان البيتان عدد من عمل في الخندق، وهم ثلاثون ألفاً، ومدة حفره وهى شهر واحد، وأشار عبدالرحمن بن الحكم إلى القبائل التى عملت في هذا الخندق، فذكر أحياء مذحج والأشعرين وحمير وغافق.. وغيرها، فقال:

بلغنا بفيلق يَغشى الظرابَ بعيدَ السَّموا لِمَن يَرتقى
وجاشت لنا الأرضُ من نحوهم بجيِّى نَجيبَ ومَن غافقِ
وأحياء مذحج والأشعرين وجمير كاللَّهبِ المحرِّقِ
وسدت معافرُ أفقِ البلادِ بمِرعدِ جيشٍ لها مُبرِقِ^(٢)

واكب هذا الشعر الأحداث فعبّر عن تفاصيلها وحفظ أسماء القبائل التى ساهمت فى هذه الواقعة، فكان الشعر سجلاً للوقائع حتى أن بعض الشعراء كان يصاحب الولاة ويوثق أعمالهم، فقد كان نصيب^(٣) منقطعاً إلى عبدالعزيز بن مروان^(٤)، فلما استطاع إعادة بُساق^(٥) قال يوثق الحدث:

حلت بُساقاً والبطاحَ فلم يُرمِ بطاحكَ لما أنت حميتَ ذماركا
فَسَرَتِ الألى ولّوا عن الأمرِ بعدما أرادوا عليه، فاعلمن اقتسارها^(٦)

(١) الكندي، محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): ولاية مصر، تحقيق حسين نصار (دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ٦٥.

(٢) نفسه، ٦٦-٦٧.

(٣) نصيب بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان، شاعر أموي (ت، ١٠٨هـ/ ٧٢٦م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٢٢.

(٤) عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م). ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٧٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ٢٤٩.

(٥) عقبة بين التيه وأبله. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤١٣ (بُساق).

(٦) نصيب بن رباح: شعره، تحقيق: داود سلوم (مط الرشاد، بغداد، ١٩٦٨)، ١١٣.

كانت مدة حكم مروان بن الحكم على قصرها حافلة بالأحداث والصراعات التي كانت تتصاعد بقوة، فكان ذلك مدعاة لازدهار الشعر نتيجة تأجج الصراعات القبلية والسياسية، لأن الشعر وسيلة من وسائل التعبير عن المواقف، والصوت الإعلامي الذي يسهم في انتشار الخبر وشيوعه فيبعث في الحياة روح التنافس ويؤدي على رسوخ التناقضات السياسية ووضوحها بجلاء ويمنح الشعراء المحفز القادر على إثارة العواطف وتأليب الخصوم.

عبدالمك بن مروان بن الحكم^(١) (٦٥-٥٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)

تسلم عبدالمك الخلافة وما زال ابن الزبير يستحوذ على مساحة واسعة من رقعة الدولة الأموية، وكان وضع الدولة في هذه الأثناء هشًا والظروف المحيطة بها مرتبطة، فقد كانت أيام مروان القليلة غير كافية لتثبيت أركان دولته التي تكاد أن تكون أسست تأسيسًا جديدًا، لذا بدت المهام أمام عبدالمك لتثبيت أركان الدولة جسيمة تحتاج إلى القوة والحكمة السياسية والأفق الواسع لمجابهة قوة عبدالله بن الزبير، وفرقة القبائل العربية، فضلًا عن الحاجة إلى المال والرجال، وقد بدأ أبوه خطواته الأولى بقوة قبيلة كلب ومن والى بنى أمية، ثم أخذ يوسع نفوذه في الشام ومصر، والخطوة القادمة تحتاج من عبدالمك التوسع في العراق وخراسان والحجاز والبحرين واليمن وباقي أمصار الدولة العربية الإسلامية.

كان عبدالمك إداريًا حازمًا، وأديبًا ذواقًا، فكان يحفظ الشعر ويتمثل به ويحفظ بنصوص منه مكتوبًا، فقد كان ((يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده محتومًا ويرويه إياه ويرده))^(٢) وقد جمع بعض بنيه فاستقرأهم "فقرؤوا، واستشهدهم فأنشدوا لكل شاعر غير الأعشى، فقال لهم: قرأتم فأحستم، وأنشدتم فأحستم لكل شاعر غير الأعشى، فما بالكم تهجرونه، فقد أخذ في كل فن فأحسن، وما امتدح رجلاً قط

(١) ولد سنة (٢٦هـ/٦٤٦م) وتولى سنة (٦٥هـ/٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣١٦/٢؛

الذهبي: سير، ٢٤٦/٤.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/٩.

إلا جعله مذكورًا))^(١). يعنى بالذكر الأثر والانتشار بوصف الشعر سجلًا للوقائع ووثيقة يدون بها الحدث. فلا غرو أن ينال الشعراء عنده حظوة خاصة وأن يستخدم الشعر سلاحًا فاعلاً ضد خصومه، ووسيلة لذبوع صيته فهابه أعداؤه وتحاشوه؛ وهو ما أثبتته الوقائع وكشفت عنه الأحداث، فكان طوال مدة حكمه سببًا إضافيًا لاستقرار الدولة في عهده وازدهار متطلبات الحضارة فيها، كما أنه يرى في الشعر مادة أخلاقية تهذب الذوق وتسمو بالأفكار والمعاني إلى مواطن الرفعة.

تصاعد أمر التوايين^(٢) في سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(٣) الذين بدأت حركتهم في سنة (٦٤هـ / ٦٨٣)^(٤) في عهد مروان بن الحكم طلبًا بثأر الحسين رضى الله عنه، إذ بعث سليمان بن صرد^(٥) (ت، ٦٥هـ / ٦٨٤م) إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخصوص، فأتوه وتلاقوا بالتلاوم والتنادم فعمسكوا بالنخيلة^(٦) إلى الكوفة ففرعوا إلى خمسة نفر من زعمائهم بينهم المسيب بن نجبة الفزاري^(٧) (ت، ٦٥هـ / ٦٨٤م) فولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعي، فحرضهم على الخروج عبيدالله ابن عوف بن الأحمر^(٨)، فقال:

صحوتُ وودعت الصُّبا والغوانيا وقلت لأصحابي: أجيئوا المنايا
وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى وقبل الدعا: لبيك لبيك داعيا^(٩)

(١) ابن بكار: الموفقيات، ٤٩.

(٢) هم الذين تابوا وندموا لتخاذلهم عن نصره الحسين حين خرج على يزيد بن معاوية. ينظر: البلاذري:

أنساب، ٥ / ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥ / ٢٨٥؛ المسعودى: مروج، ٣ / ٩٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ٥ / ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥ / ٥٨٣.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥ / ٥٥١ و ٥٨٢.

(٥) سليمان بن صُرج بن الجون بن أبي الجون الخزاعي قتل في عين وردة.

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦ / ٢٦؛ ابن حجر، تهذيب، ٤ / ١٧٥.

(٦) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٥ / ٢٧٨ (النخلية).

(٧) المسيب بن نجبة بن ربيعة الفزاري. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦ / ٢١٦؛ ابن حيان: الثقات، ٥ /

٤٣٧.

(٨) ينظر أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥ / ٥٩٧.

(٩) ابن أعثم: الفتوح، ٦ / ١٦ وهي طويلة عنده؛ المسعودى: مروج، ٣ / ٩٣.

وهو يذكر أنهم تابوا إلى الله وأنابوا إليه من الكبائر التي ارتكبوها حين لم ينصروه؛ لذا كان شعرهم صحوة نفسية غايتها التكفير والتطهير، وهي التوبة إلى الله عما فرط منهم من الذنوب والآثام^(١). إذ كان ابن الأحرر سبقهم إلى قبر الحسين وهو يرتجز:

خَرَجْنَا يَلْمَعْنَ بِنَا أَرْسَالَا عَوَارِسًا يَحْمَلْنَنا أَبْطَالَا
 نُرِيدُ أَنْ نَلْقَى بِهِ الْأَقْتَالَا الْقَاسِطِينَ الْفُؤَادُ وَالضُّلَالَا
 وَقَدْ رَفَضْنَا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَا وَالخَفِرَاتِ الْبَيْضَ وَالْحِجَالَا
 نُرَضَى بِهِ النُّعْمَ الْمَفْضَالَا^(٢)

يفصح هذا الشعر عن عقيدة التوابين في رفض الأهل والأموال والنساء للتفرغ لقتال خصومهم من قتلة الحسين رضي الله عنه، فخرجوا يريدون الشام، فلما كانوا بعين وردة^(٣) لقيتهم خيل أهل الشام^(٤) فالتحموا معهم بحماس شديد واستماتة كبيرة، وكأنهم يكفرون عن ذنبهم بالموت الذي بات مطالباً نفسياً ووجودياً؛ وتعبيراً عن الإحساس بالإحباط والانكسار، ففقدوا حساسية الشعور بالصدمة أمام الموت، فهذا سليمان بن صرد يكسر جفن سيفه ويتقدم نحو أهل الشام^(٥) وهو يرتجز ويقول:

إِلَيْكَ رَبِّي تُبْتُ مِنْ ذُنُوبِي وَقَدْ عَلَانِي فِي الْوَرَى مَشِيبي
 فَارْحَمْ عَبْدًا غَيْرَ مَا تَكْذِيبِي وَاغْفِرْ ذُنُوبِي سِيدِي وَحَوِيبي^(٦)

(١) خليف: حياة الشعر في الكوفة، ٣٨١/٣٨٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/٥٩١.

(٣) عين وردة: على مقربة من الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/١٨٠ (عين وردة).

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/٥٩٦.

(٥) ابن أعمش: الفتوح، ٦/٨٢.

(٦) نفسه.

ثم أخذ الراية المسيب بن نجبة وهو يقول ((فقد صدقت ووفيت بما عليك))^(١). فكان يقاتل ويرتجز:

قد علمت مiale الذوائب واضحة اللبّات والثرائب
أنى غداة الرّوع والتّغالب أشجع من ذى لبّ مؤائب
قطّاعُ أقرانٍ مُخوفُ الجائب^(٢)

وكان يطعن في أهل الشام ويقول:

لقد منيتم يا أخى جلادى بيت المقام مقصص الأعادى
ليس بفرارٍ ولا حياى أشجع من ليث عرين عادى^(٣)

وتقدم عبدالله بن سعد بن نفييل الأزدي^(٤) (ت، ٦٥هـ / ٦٨٤م) فأخذ الراية فرفعها لأهل الكوفة وهو يقول:

ارحم إلهى عبدك التّوابا ولا تؤاخذه فقد أنابا
لا كُفّة ييقى ولا عراقا لا بل يريد الموت والعتابا^(٥)

هنا يبدو مطلب الموت ذاتياً للمجموعة وكأنهم يدفعون بأنفسهم إلى الموت تكفيراً عن جريمة كبيرة، وإثم عظيم، وهم البقية الباقية من أصحاب على بن أبى طالب فى الكوفة، وكان التعبير عن التوبة لديهم بغير الموت لا قيمة له، مما جعلهم يطلبون اللقاء بربهم ومن قتل من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٩.

(٢) نفسه، ٥/ ٦٠٠؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/

١٣٧٢م): البداية والنهاية، الجزء الثامن (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٢٥٤.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٤) أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٥) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٦) ينظر شعر: رفاعة بن شداد البجلي، وسخر بن حذيفة عند ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٤-٨٥. وكذلك

يمكن ملاحظة الإحساس بالندم عند عبید الله الجعفي في رثائه للحسين وتقريره لنفسه لعدم نصرته:

شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦.

بعد مقتل التوابين في عين الوردة شعر أصحابهم ومؤيدوهم بالحزن والأسى لما حصل فرووا شعراً سمعوه في مسيرهم ورجوعهم يعد من الشعر الذي يوثق الحدث ومن شارك فيه، وهو كما يبدو شعرٌ صنع بعد تفاعل الأحداث وكثرة الثورات، وهو قولهم:

يا عينُ بكى ابن الصردُ بكى إذا الليل حمداً
كان إذا البأس نكدُ تخالسه فيه أسداً
مضى حميداً قد رشداً فى طاعة الأعلى الصمداً^(١)

كان لرتاء من قتلوا في عين الوردة اثره الواضح في حفظ أحداثها واستمرار روايتها من قبل التوابين، مع التكتم عليها لحساسيتها لتعبيرها عن هواجسهم، فهذا أعشى همدان^(٢) يرثيهم بقصيدة بائية تعد ((إحدى المكتنات، كن يكتمن في ذلك الزمان))^(٣)، ومطلعها:

ألم خيال منك يا أم غالبٍ فحييت عنا من حبيب مجانبٍ^(٤)

تعد هذه القصيدة لطوها وتسلسل حوادثها من القصائد المهمة في توثيق الأحداث التاريخية، لوضوحها ومباشرتها، وتتبعها تحرك التوابين؛ فضلاً عن تعبیرها عن أفكارهم وعقيدتهم في التوبة. فهو يوثق حركتهم، ويكشف عن تعاطفه معهم، وعن روح القناعة بعقيدتهم، فقد كان أعشى همدان أحد الفقهاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر^(٥)، فعد من الفحول^(٦). فمن ذلك قوله:

(١) المسعودى: مروج، ٣/ ٩٥.

(٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحراث، أبو المصيح، شاعر فصيح كوفي أحد القراء الفقهاء (ت، ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م). ترجمته: الأمدى: المؤلف، ١٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ٣٤.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٧.

(٤) أعشى همدان، عبدالرحمن بن عبدالله (ت، ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م): الديوان: ملحق بديوان الأعشى الكبير: الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشى الآخرين (مطبعة أدلف هُلمر هوسن، بيانه، ١٩٢٧ م)، ٣١٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٨.

(٥) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧ هـ/ ١١٩٩ م): المنتظم في تواريخ الأمم، تحقيق سهيل زكار، الجزء الرابع (دار الفكر، بيروت، ١٤٥١ هـ/ ١٩٩٥ م)، ٣٩١.

(٦) هذا رأي الأصمعي فيه ينظر: المرزبانى: الموشح، ٣٠١.

فوجهه نحو التوبة سائراً
بقوم هم أهل التقية والنهي
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبة
فساروا وهم من بين ملتعمس التقى
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا
يمازية تدرى الأكف وتارة
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم
وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا
وأضحى الخزاعى الرئيس مجذلاً
ورأس بنى شمش وفارس قومه
وعمرؤا بن يشر والوليد وخالد
وضارب من همدان كل مشيع

إلى ابن زياد فى الجموع الكباكب
مصاليت أنجاد سرة مناجيب
ولم يستجيبوا للأمير المخاطب
وأخر مما جر بالأمس تائب
إليهم فحسؤهم بيض قواضب
بخيل عتاق من كل جانب
فلم ينج منهم ثم غير عصائب
تعاورهم ريح الصبا والجنايب
كان لم يقاتل مرة ويحارب
شنوءة والتمى هادى الكتائب
وزيد بن بكر والحليس بن غالب
إذا شد ينكل كريم المكاسب^(١)

تسرد هذه الأبيات مجموعة ممن شارك فى الواقعة، إذ يشير إلى سليمان بن سرد الخزاعى أحد رجالها وصحبه، عبدالله بن سعد بن نفيلى الأزدي، وعبدالله بن والى التيمى من تيم اللات، والوليد بن عصير الكنانى، وخالد بن سعد بن نفيلى... وغيرهم^(٢)؛ مما يكشف عن أثر الشعر فى توثيق هذا الحدث وما تبعه من متغيرات وظروف كانت سبباً فى اتخاذ عبدالمملك بن مروان أسلوب الحزم والقوة لمجابهة هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة.

(١) ديوانه، ٣١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦٠٨/٥-٦٠٩.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيبانى (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل فى التاريخ، الجزء الرابع (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)،

وكان مروان بن الحكم قد أنفذ جيش بن دلجة القيني^(١) إلى أهل المدينة، فوجه إليه عبدالله بن الزبير جيشًا من البصرة بقيادة واليها من قبله الحارث بن عبدالله أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقباع^(٢) (ت، ٨٠هـ / ٧٠٠م)، ف وقعت موقعة الرّبذة^(٣) في سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(٤)، والتي قال فيها عمرو بن حنظلة التميمي^(٥):

فَدَى لَامِرِي سَوَى حُبَيْشًا عَلَى الْعَصَا	قُدَامَةَ قَبْلَ النَّاسِ مِنْ آلِ أَجْدَرَا
أَنَاخَ لَهُ شَرُّ الْمَطَايَا مَطِيَّةً	وَكَانَ حُبَيْشٌ قَدْ طَغَى وَتَجَبَّرَا
وَقَالَ حُبَيْشٌ لِلْجُنُودِ تَقَدَّمُوا	وَظَنَّ قِتَالَ الْقَوْمِ قَنَدًا وَسُكْرَا
وَلَمَّا التَّقُوا وَكَّى الشَّامُونَ هُرْبًا	عَزِيزِينَ وَأَجْلَوْا عَنْ حُبَيْشٍ مُقَطَّرَا
وَأَفْلَتْنَا الْحَجَّاجُ رَكْضًا وَلَوْ بِهِ	لَحَقْنَا لِغَادِرِنَا الْجُرَى مُغْفَرًا ^(٦)

فانهزم جيش مروان، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي وأبوه منهم فهربا على بعير يعتقابه، وقُتِلَ عَمْرُو وَصَلِبَ حُبَيْشٌ، فقيل أنه أول مصلوب في الإسلام^(٧).

واشتدت شوكة الخوارج بالبصرة، في سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(٨) من أصحاب نافع بن الأزرق^(٩)، فبعث إليهم أهل البصرة جيشًا عليه حارثة بن بدر فلقيهم، فقال لأصحابه:

(١) أحد بني وائل بن جُشم. البلاذري: أنساب، ٥ / ١٥٠-١٥١؛ الطبري: تاريخ، ٥ / ٦١١-٦١٢.

(٢) لقب مكيال وصفه. ترجمته: ابن حبان الثقات، ٤ / ١٢٩؛ الذهبي: سير، ٤ / ١٨١.

(٣) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. ياقوت: معجم البلدان، ٣ / ٢٤ (الرّبذة).

(٤) البلاذري: أنساب، ٥ / ١٥٠-١٥١؛ الطبري: تاريخ، ٥ / ٦١١-٦١٢.

(٥) عمرو بن حنظلة التميمي البصري. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ٤٧.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) الطبري: تاريخ، ح ٥ / ٦١٣.

(٩) نافع بن الأزرق الحنفي، أحد قادة الخوارج قتل سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥

/ ٤٦٩؛ الذهبي: ميزان، ٤ / ٢٤١.

كـرنبوا ودولـبوا وحيث شـتم فاذهبوا^(١)

وسبب ذلك اشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزدي وربيعة وتميم، بسبب مسعود بن عمرو، وكثرة جموع الخوارج^(٢)، فاجتمعوا في دولاب^(٣)، فقال قطري بن الفجاءة^(٤):

ولو شهدتني يومَ دولاب أبصرت
غداة طعت عَ الماءِ بكر بن وائلٍ
ومالَ الحجازيون نحوَ بلادهم
وكانَ لعبدِ القيسِ أوَّلَ جِدِّها
على نائبات الدهر جدُّ لثيم
وألفها من جَميرٍ وسُليم
وعُجنا صدورَ الخيلِ نحو تميم
وولتَ شيوخُ الأزديِّ فهيَ تعوم^(٥)

وبعد أن كتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يطلبون منه إمامًا عليهم وجه إليهم الحارث بن عبدالله المخزومي، وفي هذا الوقت كان ضغط الخوارج^(٦) شديدًا على أهل البصرة فأشاروا عليه أن يولي المهلب بن أبي صفرة^(٧) (ت، ٨٢هـ/ ٧٠١م) على قتال الخوارج، فقام رجل من أهل البصرة^(٨) منشدًا:

مضى ابن عُبَيْسٍ مُسلمٌ لسبيله فقام لها الشيخُ الحجازي عُثمانُ
فأرعدَ من قَبْلِ اللقَاءِ ابنَ معمرٍ
ولم يُنكُ عُثمانُ جناحَ بعوضَةٍ
وأبرقَ، وأبرقُ الحجازي حَوانُ
وأضحى عدُو الدينِ مثل الذي كانوا

(١) الطبري: تاريخ، ٥/٦١٣؛ ابن الكلبي، جمهورية، ٢٢٢. والبيت غير مذكور في جموع شعره.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/٦١٣.

(٣) بينه وبين الحواز فرسخان. ياقوت: معجم البلدان، ٢/٤٨٥ (دولاب).

(٤) اسمه جعونة بن مازن، أبو نعامة، قتل نحو سنة (٧٨هـ/٦٩٧م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ٣/٢٦٤، البكري: سمط، ١/٥٩٠.

(٥) شعر الخوارج، ١/١٠٦-١٠٧.

(٦) الطبري: تاريخ، ٥/٦١٥.

(٧) المهلب بن ظالم بن سارق بن صبح الأزدي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/١٢٩؛ الذهبي: سير، ٤/٣٨٣.

(٨) الدينوري: الأخبار، ٢٧٠-٢٧١.

وليس لها إلا المهلب إئنه
إذا قيل من يحمى العراقين أو مات
فذاك أمرؤ إن يلقههم يُطف نارهم
مليء بأمر الحرب، شيخ له شأن
إليه معدُّ بالأكف، وقحطان
وليس لها إلا المهلب إنسان^(١)

وهذا الشعر يوثق أحداث الخوارج مع أهل البصرة، ويشير إلى قاعدة جيوشهم في المحاربة، ويرى في شخصية المهلب القيادية أهلاً لمناجرتهم القتال، فهزمهم المهلب في (سلى وسلبرى)^(٢)، وأقام بالأحواز، فقال الصلتان العبدى^(٣):

يسلى وسلبرى مصارع فتية
كرام وقتلى لم توسد خدودها^(٤)

وقال شاعر من المسلمين يوثق هذا الحدث:

يوم سلى وسلبرى أحاط بهم
حتى تركنا عبيد الله منجدلا
منا صواعق ما تبقى وما تذر
كما تجدل جدع مال منقعر^(٥)

وقال أحد شعراء الخوارج:

لعمري لقد بعنا الحياة وعيشها
غداة نكر المشرفية فيهم
برضوان رب الخلائق عالم
بسولاف يوم المأزق المتلاحم

(١) نفسه، ٢٧١، ينسب هذا الشعر لابن غرّادة وفيه إشارة إلى عثمان بن عبدالله في قتاله للخوارج، وإلى مقتل مسلم بن عبيس القرشي في دولاب كم وثق ذلك احد الأزدي. ينظر أيضًا: البلاذري: أنساب، ٢ -١١٥/٤.

(٢) سلى وسلبرى: منزل من منازل الأحواز نزل به المهلب. ياقوت: معجم البلدان، ٣/٢٣٢ (سلى وسلبرى).

(٣) هو قثم بن خبية من عبد القيس، شاعر حكيم (ت، ٨٠هـ/٧٠٠م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/٤٠٨؛ المرزباني، معجم الشعراء، ٤٩.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/٦١٩.

(٥) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/١٠٩٤م). معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، الجزء الثالث (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، ٧٤٨. ينظر ما قاله كعب الأشقري، ابن أعمش: الفتوح، ٦/٢٦.

فإن تك قتلى يوم سلى تتباعت فإنكم غادرت أسيفنا من قماقم^(١)

وعن وقعة سولاف^(٢) يقول عبدالله بن قيس الرقيات:

تسدت وعين السوس بينى وبينها ورزادقُ سولاف حمته الأزارقة^(٣)

ورثي أحد الخوارج نافع بن الأزرق فأشار إلى مقتله على يد المهلب فوصفه بأمير المؤمنين، وقد اتصف شعر الخوارج بالصدق والواقعية وكأنه قيل ليوثق الأحداث، فهو بعيد عن الصنعة والمحاباة والتكلف فهو يشير إلى أهدافه بصورة مباشرة، لذلك يلتقى مع شعر الفرسان في خضوعه للسليقة واستجابته المباشرة للحدث، ومن ذلك قول أحدهم:

شمت المهلب والحوادئمة
أن مات غير مُداهن في دينه
والموت أمرًا لا محالة وإقع
ورمى المهلب جمعنا بمجموعه
الشامتون بنافع بن الأزرق
ومتى يمر بذكر نارٍ يصعق
من لا يصبحه نهارًا يطرق
لما أصبنا بالصبور المتقي
فلئن أمير المؤمنين أصابه
رب المنون فمن يُصبه يغلق^(٤)

يتصف شعر الرثاء عند الخوارج بالاستهانة بالموت، وعدم المداهنة أو المراءاة، لأن شعرهم يهتم بإبراز ملامح الإقدام والجرأة، والقدرة على تحدى الخصم من أجل الأهداف التي يؤمنون بها، وهذا ما أبده عن البكائيات وجعله توكيدًا حيًا للعقيدة عندهم، كما تعكس ذلك المراثي^(٥) التي قيلت فيمن قتل مع نافع بن الأزرق.

(١) الأبيات من شعر بعيدة بن هلال الشكري، شعر الخوارج: ص ٩٢. ينظر روايتها عند ابن أعثم: الفتوح، ١٩/٦.

(٢) قرية غربي دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٨٥ (سولاف).

(٣) ديوانه، ١٦٢.

(٤) شعر الخوارج، ٧٢؛ الدينوري: الأخبار، ٢٧٤.

(٥) ينظر حول: رثاء عمرة لابنها عمران بن الحارث الراسبي، ورثاء الحارث بن كعب الشني لعون بن أحمد الضبيعي. شعر الخوارج، ٧٣-٧٤.

وفي سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(١) خالف من كان بخراسان من بني تميم عبدالله بن حازم (ت، ٧٢هـ / ٦٩١م) حتى وقعت الحرب بينهم، فقاتله الحريش بن هلال القريعي^(٢) سنتين. فقال بعض شعراء تميم:

فلو كنتم مثل الحريش صبرتم
وكنتم بقصر الملح خير فوارس
إذا لسقيتم بالعوالي ابن خازم
سجال دوم يورثن طوال وساوس^(٣)

فوثق الشعر شخصيتي المتحارين، كما أشار فخر الحريش إلى هيأته الخارجية وإلى مدة الحرب بين الطرفين التي هي حولان، إذ يقول حريش:

أزال عظم يميني عن مركبه
حامل الرديني في الأدلاج والسحر
حولين ما اغتمضت عيني بمنزلة
إلا وكفى وساد لي على حجر
بزي الحديد وسربالي إذا هجعت
عنى العيون محال القارح الذكر^(٤)

وحاصر عبدالله بن خازم رجال بني تميم بخراسان بسبب مقتل ابنه محمد سنة (٦٦هـ / ٦٨٥م)^(٥) فقال الحريش بن هلال:

أعاذل إنى لم ألم فى قتالهم
وقد عض سيفى كبشهم ثم صمما
أعاذل ما ولئت حتى تبددت
رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل أفنانى السلاح ومن يطل
مقارعة الأبطال ترجع مكلما
أعينى إن أذرفت الدمع فاسكنا
دما لازما لي دون أن تسكبا الدما
أبعد زهير وابن بشر تتابعا
وورد أرجى فى خراسان مغنما

(١) الطبرى: تاريخ، ٦٢٤/٥.

(٢) حريش بن هلال بن قدامة، من فرسان بني تميم. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ٢٥٧/١؛ ابن

خلكان: وفيات، ٢٨٤/٦.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦٢٦/٥.

(٤) نفسه، ٦٢٦/٥.

(٥) نفسه، ٧٦/٦.

أعاذل كم من يوم حرب شهدته أكر إذا ما فارس السوء أحجما^(١)

وفي سنة (٦٦٦هـ/٦٨٥م)^(٢) أعلن المختار بن أبي^(٣) عبيد (ت، ٦٧هـ/٦٨٦م) خروجه في الكوفة مطالبًا بالثأر لدم الحسين بن علي فأخرج عامل ابن الزبير منها، وكان المختار بايع الحسين فيمن بايعه من أهل الكوفة^(٤). فأصبح خروجه لخروج التوابين، ورافدًا من روافد التمرد على الدولة الأموية بعد نشوب الاضطرابات والفتن التي فجرها تحول نظام الخلافة من الشورى إلى الوراثة. ولأن الكوفة كانت مركزًا مهمًا من مراكز الدولة العربية الإسلامية، وصارت عاصمة لها في عصر الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب فقد كانت مهيةً للوثوب على ابن الزبير والأمويين فقد كان المختار يلبس سلاحه ويرتجز:

قد علمت بيضاء حسنا الطلل
واضحة الخدين عجزاء الكفل
إني غداة الرّوع ومقدام بطل
لا عاجز فيها ولا وعدّ فشل^(٥)

مهما يعبر عن حماسه واندفاعه من أجل تحقيق أهدافه؛ لأن ثورته تُعدُّ من أكثر أحداث القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي أهمية^(٦)، فكان خروج المختار بعد أن

(١) نفسه، ٦/٨٠ وميعني بـ (زهير، ابن بشر، ورد): زهير بن ذؤيب، وعثمان بن بشر المازني، وورد بن الفلق العنبري.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/٧.

(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٠٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٢٢/٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/٥٦٩.

(٥) المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت، ٦٧هـ/٦٨٦م): شعره، شعراء ثقف في العصر الأموي، تحقيق عيضة ابن عبدالعزيز الصّواط (نادي الطائف، طبع بمطابع شركة دار العلم، جدة، دون تاريخ)، ٢٧٢؛ البلاذري: أنساب، ٥/٢٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/٢٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ٧٦/١٠٣.

(٦) دكسن، عبد الأمير عبدحسين: الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ/٦٨٤ - ٧٠٥م، دراسة سياسية (دار النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م)، ٥٥.

دعا عبدالله بن مطيع ابن الأسود^(١) لابن الزبير في الكوفة ولم يسمه. وقال بايعوا
لأمير المؤمنين فقال عبدالله بن همام السلولى:

دعا ابن مطيع للبياع فجئتُه
فأخرج لى خشناء حيث لمستها
معاودة ضرب الهراوى لقومها
ولم يُسم إذ بايعته من خليفتي
إلى بيعة قلبى لها غير عارفو
من الخشن ليست من أكف الخلائفو
فروداً إذا ما كان يوم التسايفو
ولم يشترط إلّا اشتراط المجازفو^(٢)

ولما بلغ ابن مطيع عزم المختار بالخروج بعث راشد بن إياس بن مضارب مكان
أبيه إياس ابن مضارب الذى كان فى شرطه فقتله أصحاب المختار^(٣)، فقالت أخته
ترثيه:

لحى الله قومًا أسلموا أمسٍ راشداً
فلا ولدت عجليةً بعد راشد
بجبانة الدارين عند مراد
غلامًا ولا حلت بصوت رعاد^(٤)

فلما صار القتال فى سكك الكوفة وأحيائها، حصر عبدالله بن همام السلولى فى
قصر الإمارة فتدلى منه^(٥)، فقال:

لما رأيتُ القصرَ أغلق بأبه
ورأيتُ أصحابَ الدقيقِ كأنهم
ورأيتُ أفواهَ الأزقةِ حولنا
أيقنتُ أن إمارةَ ابنِ مُضاربِ
وتوكلتُ همدانُ بالأسبابِ
حولَ البيوتِ ثعالِبُ الأسرابِ
ملثتُ بكلِّ هراوةٍ ودُّبابِ
لم يبقَ منها فَيْشُ أيرِ دُّبابِ^(٦)

(١) عبدالله بن مطيع بن الأسود القرشي (ت، ٧٣هـ / ٦٩٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

(٣) نفسه: ٥/ ٢٢٤-٢٢٥. ينظر أيضًا أخبار إياس بن مضارب وابنه راشد.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٦. وجبانة الدارين أحد أحياء الكوفة.

(٥) نفسه، ٥/ ٢٢٠.

(٦) ما تبقى من شعره، ١٨٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

يشير هذا الشعر إلى الأحداث التي عاشتها الكوفة، ومثلما أشرا في موضع آخر إلى اشتداد قوة المختار وكثرة أنصاره، فقد كان السلولى معتزلاً فاستأ من له^(١)، فجاء إليه ذات يوم ومدحه:

وفى لسلة المختار ما يذهلُ الفتى ويلهيه عن رُودِ الشَّبابِ شُموغُ
دعا يا لثاراتِ الحسين فأقبلت كتائبُ من همدان بعد هُزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك يقود جُموعاً عبثت لجموع
ومن أسدٍ وافى يزيدُ لنصرو بكلِّ فتى ماضى الجنانِ منيع
وجاءَ نعيم شيبان كُلِّها بأمرٍ لدى الهيجاءِ جدُّ جميعُ
وما ابن شُميط إذ يحرِّضُ قومه هناك بمخذول ولا بمُضيع^(٢)

يوثق هذا الشعر القبائل والأشخاص ممن ساند المختار، فقد وقفت القبائل اليمانية ضده بسبب دعوة المختار للمساواة بين الموالى والأشراف، كما أشار إلى عقيدته الكيسانية^(٣) بوصف المختار وزير الوصى والمعبر عن فكرة بقاء الخلافة في بنى هاشم:

فمنَ وزيرِ ابن الوصى عليهم وكان لهم فى الناس خيرَ شفيع
وآب الهدى حقاً إلى مستقرو بخيرِ إيابِ أبه ورجوع
إلى الهاشمى المهتدى المهتدى به فنحنُ له من سامٍ ومطيع^(٤)

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥.

(٢) ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٣) هم الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، وان الوصاية انتقلت إليه من أخيه الحسين قبل خروجه إلى الكوفة. ينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م): الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ)، ٤٣.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥-٣٦.

فلما أنشدتها المختار، قال المختار لأصحابه: ((قد أنثى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الشاء عليكم، فأحسنوا له الجزء))^(١). فقد كان المختار يحاول أن يكسب ودَّ الشعراء والفقراء من الناس لكي يمنح إجراءاته طابعاً شعبياً تستجيب لمطامح السواد الأعظم من الناس، فأخذ الشعراء يصرحون بظلم القباع، وهو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، والى ابن الزبير على البصرة، فهذا الأقيشر الأسيدي^(٢) (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م) يقول:

إلى جيش أهل الشام أغزيت كارهاً
ولكن بترس ليس فيها حمالة
حبانى بها ظلم القباع ولم أجد
وقال شبت بن ربيعي أيضاً:

أبعد القباع آمن الدهر صاحباً
وأملك سوداء الجواهر جعدةً
على سوءة وإنسى إذا لغبين
لها شبة فى منخريك ميين^(٣)

فلما سار إبراهيم بن الأشتر^(٤) (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م) يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار، وقالوا: إنما هذا كاهن، وبلغ من في جبانة السبيع^(٥) أن المختار قد عزم على معالجتهم فأقسموا على من في النواحي من الأشراف اليمانية أن

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/٣٦.

(٢) هو المغيرة بن عبدالله بن معرض، وقيل: المغيرة بن أسود بن مطيع الأسيدي. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/٤٦٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١١/٣٢٥.

(٣) الأقيشر الأسيدي، المغيرة بن عبدالله (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م): أخباره وأشعاره، تحقيق الطيب العناش، مجلة جولييات الجامعة التونسية، العدد (٨)، (تونس، ١٩٧١م)، ٨٢.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٧٥.

(٥) إبراهيم بن مالك بن الأشتر، قتل مع مصعب بن الزبير. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/٥؛ الذهبي: سير، ٤/٣٥.

(٦) محلة في الكوفة مسماة بقبيلة السبيع رهط أبي إسحق السبيعي. ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٨٧ (السبيع).

يصيرون بأصحابهم إليهم فتواقف اليمانية في جبانة السبيع^(١) وكان رفاعه بن شداد
البحلي^(٢) مع المختار يرتجز في جبانة السبيع مشيراً إلى عقيدته:

أنا ابن شداد على دين على لست لعثمان بن أروى بولى
لأصلين اليوم فيمن يصطلى بحر نار الحرب؛ غير مُلتوى^(٣)

وحين هزم أهل جبانة السبيع استخرج من دور الوادعين من همدان خمس مائة
أسير فأتى بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين، وكان سراقه بن
مرداس البارقي^(٤) (ت، ٢٧٩هـ / ٦٩٨م) صنع لسان^(٥)، فجعل يقول:

أمنن على يا خير معد وخير من لبي وحياً وسجد^(٦)

فأمر به فحبس ليلاً ثم خلاه، فقال شعراً ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع
المختار على خيل بلق، فأمر أن يصعد المنبر فيعلم الناس ما رأى^(٧)، فقال:

ألا أخبر أبا إسحاق أنا نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خوجنا بطراً وحينا
نراهم فى مصافهم قليلاً وهم مثل الدبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما رأينا القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهم ضرباً وطحننا وطعنا صائباً حتى انثينا^(٨)

(١) البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٣١-٢٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦٥ / ٢٨-٢٩.

(٢) رفاعه بن رافع بن عبدالله بن قيس. ينظر: ابن حجر: تهذيب، ٣ / ٢٤٢.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥ / ٥٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦ / ٥٠.

(٤) شاعر من العصر الأموي مشهور. ترجمته: الأمدى: المؤلف، ١٩٧؛ السيوطى: شرح، ١ / ١٠٤.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٣٤.

(٦) البارقي، سراقه بن مرداس (ت، ٧٩هـ / ٦٨٩م). ديوانه، تحقيق حسين نصار (مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)، ٧٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٣٤؛
الطبرى: تاريخ، ٦ / ٥٤.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦ / ٥٥.

(٨) البارقي: ديوانه، ٧٦؛ ينظر تمام القصيدة: ٧٧. وأبو إسحق كنية المختار؛ الطبرى: تاريخ، ٦ / ٥٤.

فأطلق سراحه، فخرج من الكوفة هاربًا إلى البصرة، وفيها مؤيدو ابن الزبير، وهو يقول:

أبلغ أبا إسحق أنى رأيتُ البلق دهمًا مصمتات
كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذرًا على قتالكم حتى الممات
أرى عينى ما لم تُرِياه كلانا عالمٌ بالترهات
إذا قالوا: أقول كم كذبتم وإن خَرَجوا لَيْست لهم أداتى^(١)

ويبدو أن راقه ابتدع حديث الخيل البلق من عنده، لذا عَرَّض بالمختار حين هرب، ولكن الحادثة شاعت مع شعره، فكانت أحد أسباب اتهام المختار بالكذب، وادعائه بأن الشام ستفتح له ويهدم مدينة دمشق حجرًا حجرًا^(٢)، وهذا ما يجعل شعر سراقه البارقي جزءًا متممًا، ووثيقة مهمة في تدوين الأحداث. لكن الاختلاف في موقف المختار نفسه منها يثير الشكوك، فبعضهم يروى أن المختار قال: "من يخرج سرى إلى الناس"^(٣) أوقال: "أما أن الرجل قد عاين الملائكة! خلوا سبيله"^(٤).

ثم تجرد المختار لملاحقة قتلة الحسين^(٥) فأصبح يتابعهم، فقتل بعضهم كما ذكر سراقه بقوله:

لم أر مثل الخيل خيل ابن محنفو غداة انتدى بالشاكرى ابن كامل^(٦)

(١) البارقي، ديوانه: ص ٧٦٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): عيون الأخبار، الجزء الأول

(نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م)، ٢٠٣؛ الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق (ت،

٣٤٥هـ/ ٩٥١م): أمالي الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (المؤسسة العربية الحديثة للطبع

والتوزيع، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ)، ٨٧.

(٣) الزجاجي: الأمالي، ٨٧.

(٤) الينورى: الأخبار، ٣٠٣؛ الأصفهاني: الأغاني: ١٣/٩.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧.

(٦) ديوانه: ٨٠ وينظر تمام القصيدة، والشاكرين: هو عبدالله بن كامل، البلاذرى، أنساب، ٥/ ٢٤٠.

وقال أعشى همدان:

يا عين بكى فتى الفتيان عثماناً
واذكر فتى ماجداً حلّوا شمائله
لا يبعدنُ الفتى من آلِ دُهمانا
ما مثله فارسٌ فى آلِ همدانا^(١)

وحين قتل عمر بن سعد بكنه ابنته حميدة^(٢) فقالت:

لو كان غير أخى قسى غرّة
سحّى بنفسى ذاك شيئاً فاعلموا
أعطى ابن سعد فى الصحيفة وابنه
عهداً يلينُ له جناحُ الأرقم^(٣)
أو غيرُ يَمَنٍ وغيرُ الأعجم
عنه وما البطريقُ مثلُ الألام

وفى الشعر إشارة إلى المختار وقومه بنى ثقيف، وعلى فكرة الوحي المستوحاة من
المسيحية، من خلال ذكر الشعراء للبطريق والأخبار، كما قال المتوكل الليثي^(٤) (ت)،
نحو ٨٥هـ / ٧٠٤م):

قتلوا حسيناً ثم هموينعونهُ
لا تبعدن بالطّفِ قتلى ضيّعت
ما شروطة الدجال تحت
ابنى قسى أو ثقوا رجالكم
لو كان علمُ الغيبِ عند أخيكُم
ولو كان أمراً بيننا فيما مضى
إنى لأرجو أن يكذبَ وحيكُم
إن الزمانَ بأهله أطوارُ
وسقى الله مساكنَ هامها الأمطارُ
لوائه بأضلّ ممن غرّه المختارُ
يُجلّ الغبارُ وأنتم أحرارُ
لتواطأت لكم به الأخبارُ
تأتى به الأنبياء والأخبارُ
طعنٌ يشقُّ عصاكُم وجِصارُ^(٥)

(١) ديوانه: ٣٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٥٩/٦.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٥٩/٦.

(٣) نفسه.

(٤) المتوكل بن عبدالله الليثي من شعراء الإسلام. ترجمته: ابن سلام: الطبقات، ٢/٢٨١؛ الأمدى:
المؤتلف، ٢٧٢.

(٥) المتوكل بن عبدالله الليثي (ت، نحو ٨٥هـ / ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري (مطابع التعاونية
لبنانية، دار عون - حريصا، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١م)، ٢٥٤-٢٥٦؛ الطبرى:
تاريخ، ٧٠-٧١.

مما يعبر عن توجس الناس من مصداقية المختار وأفكاره؛ وبخاصة وإنه بدأ مهادئًا لابن الزبير، ثم راح يدعو لنفسه، فقد أخذت البيعة له في البصرة^(١)، ثم دعوته للموالى حتى قال الأحنف بن قيس لبعض أهل الكوفة: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار^(٢). فكانت دعوته رد فعل ضد التمييز الطبقي، لذا لقيت استجابة من الموالى الذين يشعرون بالغبن حتى أن أعشى همدان خاطب السادة ومن شايعهم من أمثال الأحنف بن قيس زعيم بنى تميم، فقال:

أفخرتم أن قتلتم أعبداً وهزتم مرة آل عَزَل^(٣)

ثم بعث المختار جيشًا للمكر بابن الزبير، وهو مظهر أنه وجههم معونة له لمقاتلة الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه^(٤). وحينها أعظمت ربيعة قتل إياس وابنه، وقالوا يقتل بهما إبراهيم بن الأستر^(٥)، فقال سراقه البارقي:

أتوعدنا ربيعة فى إياسٍ وأى الدهر أوعدنا قبيلُ
حرورى تكنفه الموالى وعضُّ براسه سيفٌ ثقيلُ
وإبراهيم معتزُّ هزيرٌ له فئة تقولُ كما تقولُ
يمانيةٌ تذود الناس عنه وتخطرُ فى جوانبها الفُحولُ^(٦)

فهو يذكر ربيعة مطالبتها بدم إياس^(٧)، وصلة المختار بالحرورية؛ لأنه نادى بالموالى كما نادى الخوارج وأشار إلى إبراهيم بن الأستر، نصره قبائل اليمن له؛ هذا يعبر أن بعض الفئات الاجتماعية التى كانت تشعر بالحرمان وابتهاها الإحساس

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/٦٦.

(٢) نفسه، ٦/٦٩.

(٣) أعشى همدان: ديوانه، ٣٣٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/٦٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/٧١.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٦٧.

(٦) ديوانه: ص ٨٣؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٢٦٧.

(٧) هو أبو راشد بن إياس بن مضارب. ينظر رثاء أخته له: نفسه. ٥/٢٢٦.

بالظلم وجدت في ثورة المختار متنفسًا، فكانت نصرته للموالى محاولة لكسب تأييدهم، لكنها أزعجت بعض العرب وزعماء القبائل الذين يرون في المساواة بين الموالى وغيرهم إساءة لهم، وثورة على المقاييس، فضلاً عن كونها فجرت روح التمرد؛ ولأجل أن يمنح نفسه شرعية وقداسة، ومع ذلك فثمة تناقض واضح في محاولته التوفيق بين الأشراف والموالي^(١)، لذا اتخذ من نصرته لآل على وسيلة لتمرير هذا التناقض ومنحه الشرعية من خلال الدعوة لمحمد بن الحنفية (ت، نحو ٨١ هـ/ ٧٠٠م)، وإظهار أمر الكرسي في حربه مع أهل الشام^(٢)، فكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزلة تابوت موسى فيه السكينة ويستسقون به ويستنصرون ويقدمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً^(٣)، فقال أعشى همدان:

شهدت عليكم أنكم سبئية وإئى بكم يا شُرطة الكُفرِ عارفُ
وأقسم ما كرسِيكم بسيكنة وإن كانَ قد لُفت عليه اللُغائفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سَعَت سَنامَ حوَاليه وفيهم زخارفُ^(٤)

ثم يشير إلى ولائه لآل الزبير، ووجه لآل محمد، ويبدو أن الحرب الإعلامية التي قادها شعراء الزبيريين ضد المختار وجدت أسلوب الطعن في عقيدة المختار وانحيازه إلى الموالى متنفسًا قويًا لتأليب الناس عليه؛ فضلاً عن شكوكها بمصداقية ما طرحه على الصعيدين السياسى والدينى، وقد وجد في الدعوة لآل على فرصة لتثبيت وجوده، ونسبة الكرسي، فقال المتوكل الليثى بمثل ما قال به أعشى همدان:

أبلغ أبا إسحق إن جئتُه أنى بكرسيكم كافرُ

(١) دكسن: الخلافة الأموية، ٨٣.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٢.

(٤) ديوانه: ص ٣٣٤. وفي بعض الروايات سبئية أو خشبية بدل سلبية، وهي الأصح، وشبام بدل سنام ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٣.

تنزو شُبَّامَ حَوْلَ أَعْوَادِهِ وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرٌ^(١)

بعد فراغ المختار من حربه في جبانة السبيع والكناسة^(٢)، وما تلاها من أحداث خلال هذه السنة (٦٦هـ / ٦٨٥م)^(٣) شخص إبراهيم بن الأشتر متوجهاً إلى عبيد الله بن زياد لحربه، فقال المختار:

أَمَّا وَرَبُّ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا لِنَقِئَنَّ بَعْدَ صَدِّ صَفَاً
وَبَعْدَ أَلْفِ قَاسِطِينَ أَلْفَاً^(٤)

ففي سنة (٦٧هـ / ٦٨٦م)^(٥) كان مقتل عبيدالله بن زياد في معركة على شاطئ خازر^(٦)، فأكد ابن الزبير الأسدي على هذه الواقعة في مدحه لابن الأشتر فقال:

وَأَقْرَ عَيْنِكَ يَوْمَ وَقَعَةِ خَازِرٍ وَالخَيْلُ تُعْشَرُ بِالْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ^(٧)
ووثق ابن مفرغ مقتله بالزباب فقال:

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَّارًا بِذِمَّتِهِ الْعَبْدُ لِلْعَبْدِ لَا أَسْلَ وَلَا طَرْفٌ
أَلْوَتُ بِهِ ذَاتَ أَظْفَارٍ وَأَنْيَابِ^(٨)

وقال سراقه البارقى:

(١) ديوانه، ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) محلة بالكوفة. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٤ / ٤٨١ (كناسة).

(٣) البلاذري: أنساب، ٥ / ٢٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٦ / ٨١.

(٤) تمامها عند ابن أعثم، وروايتها مختلفة بين المختار وإبراهيم الأشتر وبعض الشعراء. ينظر: البلاذري:

أنساب، ٥ / ٢٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٦ / ٨١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦ / ١٥٩-١٦٠.

(٥) الطبري: تاريخ، ٦ / ٨٦.

(٦) خازر: نهر بين أربيل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٢ /

٣٣٧ (خازر).

(٧) ديوانه، ٩١. ووصف عمير بن الحباب هذه الواقعة بأنها انتصاف من قبائل اليمن عن يوم مُرَج

راهط. ينظر: البلاذري: أنساب، ٥ / ٢٦٨.

(٨) ديوانه، ٨١؛ البلاذري: أنساب، ٥ / ٢٥١. وينظر فيه ما قاله عقيبة الأسدي: ٢-٤ / ٨٧.

فيا ابنَ زيادِ بُؤَ بأعظمِ مالكِ
ضربناكَ بالعُضْبِ الحُسامِ فلمْ نُضجِرْ
وَدُقَّ حدًّا ماضى الشَّفرتينِ صَقيلِ
إذا ما أبانا قاتلًا بقتيلِ
جَزَى اللهُ خيراً شُرطةَ اللهِ إنهمْ
شفوا من عبيد الله أمسِ غليلي^(١)

يوثق هذا حادثة مقتل عبيدالله بن زياد (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) بوضوح ويشير إليه باسمه، وهو أنه مولى أو عبد، كما أرّخ الشعر لمقتل آخرين، أو اشتراكهم فيها مثل مقتل شمر بن ذى الجوشن، وعثمان بن خالد الجنى، واشتراك داود بن عروة الدمشقى من أنصار ابن زياد، والأحوص بن شداد الهمداني من أنصار المختار^(٢)، كما أشار هذا الشعر إلى قوة شوكة القبائل القحطانية ومحاولتها الحد من سلطان القبائل العدنانية، كما في قول ابن الزبير الأسدى:

تركتم أبا إحسان تُهدم داره
منبذة أبوابها وحديدُها
فلو كان من قحطان أسماء شمّرت
كتائبُ من قحطان صُعرُ خدودها^(٣)

كما حاول أيمن بن خريم أن يسرد بلاء قبيلته بنى أسد من الأحداث فتتبعها في قصيدة له:

غارات أشتر فى الخيول يريدكم
بمصرة ومضرة وفساد^(٤)

جاء الخطر هذه المرة من البصرة حيث مصعب بن الزبير^(٥) (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م)

(١) ديوانه، ٨١-٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٢.

(٢) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٨-٢٤١؛ ابن أئثم: الفتوح، ٦/ ١٧٧-١٧٨؛ ابن كثير: البداية، ٨ / ٢٧٠-٢٧٣. ولعل رثاء أعشى همدان أوضح من أرّخ لمقتل عثمان بن خالد الجهني، ينظر: جيوانه، ٢٤٢.

(٣) ديوانه، ٧٧-٧٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤١. ويمكن ملاحظة إجابة أيوب بن سعة النجعي له في هذا المكان والشعر يشير إلى هروب سماء بن خارجة وهدم داره.

(٤) شعره، ٢٥. وينظر: تمام القصيدة، وذكره للمواقع التي كان يجوبها.

(٥) مصعب بن الزبير بن العوام قائد وفارس مشهور. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤١٠؛ الذهبى: سير، ٢/ ١٤٠.

الذي أخذ على عاتقه مقاتلة المختار واتباعه لضبط العراق لأخيه فاستطاع احتلال قصر الإمارة، والمباشرة بملاحقة أصحاب المختار، فقال رجل:

ما كنت أخشى أن أرى أسيراً ولا أرى مدمراً تدميراً
إن الذين خالفوا الأميرا قد رغموا وتبروا تنبيراً^(١)

وزعم بعضهم أن شيب بن ربيعي قتل في جبانة السبيع، واحتج بشعر أعشى همدان^(٢)، حين يقول:

وأضحى ابن ربيعي قتيلاً مجداً كأن لم يقاتل مرة ومحارب^(٣)
ومن نفى قتل شيب يومئذ روى البيت:

فأضحى ابن صهبان قتيلاً مجداً^(٤)

ولكن شيب بن ربيعي يستنجد بمصعب سنة (٦٧هـ / ٦٨٦م)^(٥) وذلك في وقعة المذار^(٦) في حربه مع المختار حيث يقتل أحمد بن شميطة كما في قول بعض الشعراء:
ونحن قتلنا أحمر وجموعه وقد كان قتال الكماة مظفراً^(٧)
ويقول أعشى همدان:

ألا هل أتاك والأنباء تُنمى بما لاقت بجيلةً بالمذار^(٨)

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٩٨. وقيل إن الشعر لعبدالرحمن بن الشعث. ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٢؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٠٨.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٣) ديوانه، ٣١٦؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٣٥.

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٣٥.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٠؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٥٢؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٩٤.

(٦) في ميسان بين واسط والبصرة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٨٨ (المذار).

(٧) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٥٥. ينظر حول أحمد بن شميطة الأحسي، ٥/ ٢٥٣.

(٨) ديوانه: ٣٣٠؛ البلاذري: ٥/ ٢٥٤؛ الدينوري: الأخبار، ٦/ ٣٠٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٩٧.

ومر المختر في أصحابه على محمد بن الأشعث^(١) ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) فقال لهم:
(يا شرطة الله كروا على الثعالب الرواغة فحملوا))^(٢) فقتل محمد بن الأشعث،
فقال أعشى همدان:

وقام نعاةً أبى قاسم فأسبل بالدمع تحدارها
فحق العيون على ابن الأشج أن لا يُفتر تقطارها^(٣)

تعد هذه القصيدة من شعر الوثائق التاريخية المهمة التي تشرح هذه الواقعة
فتكشف عن فكر المختر السياسي الذي استجمع الموالي وحاول أن يستفيد من
الظروف الاقتصادية للفئات الفقيرة من الناس، وحاول أن يستخدم الكرسي
وسيلة لبث دعواه، حتى سمي بالسحار والكذاب؛ لذا اشتد أصحاب مصعب بن
الزبير في طلبه، فكان يقاتل ابن الأشعث ويرتجز مفتخرًا:

إن يقتلونى تجدوا لى جزورا محمداً قتلته وعمرا
والأبرص الجاهل لما أدبرا^(٤)

فقتل المختر في هذه السنة رجلين من بين حنيفة^(٥). فقال سويد بن أبي كاهل^(٦)
ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م) يذكر ذلك:

يا ليت شعري متى تغدو مخيسة منا فتبلغ أهل الموسم الخيرا
أنا جزرنا على الكذاب هامته من بعد طعن وضرب يكشف الخمرا^(٧)

(١) محمد بن عبد الرحمن بن الأشعث الكندي. ترجمته: ابن الكلبي، جهرة، ٢٥٦؛ ابن حجر: تهذيب، ٩
٢٥٩/

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٠.

(٣) ديوانه، ٣٣١؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٠. وابن الأشج هو ابن الأشعث.

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٢.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٢؛ البددنوري: الأخبار، ٣٠٨؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٠٨.

(٦) سويد بن غطيف من يشكر شاعر. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٣٤؛ الأصفهاني:
الأغاني، ١٣/ ١٠٠.

(٧) الدينوري: الأخبار، ٣٠٨.

وقال عبید الله بن قیس الرقیات یمدح مصعب بن الزبیر:

والذی نغصُ ابن ذومَة كما تو حی الشیاطین والسیوف ظمَاءُ
فأباحَ العراق یضربهم بالس ف صُلَّتْنا فوی الضرابِ غِلاءُ^(١)

وقال العجاج^(٢) یهجو المختار ویمدح مصعباً:

لقد وجدتم مُصعباً مستصعباً حی رمی الأحزابَ والمُحزناً
وخشبى الأعجمَ المخشباً والدرابَ ذا البُنیانِ والمُدرِّبا
وابن أبى عبید المکذبا والسبئی والمراش المذنباً^(٣)

وقال مسکین الدارمی، وکن قد هرب من المختار:

لهف نفسى على شبابِ قريش حی یأتى برأسه المختار^(٤)

وعندما أمر مصعب بن الزبیر بضرب عنقِ عمرة بنت النعمان بن بشیر سنة (٦٧ هـ/ ٦٨٦ م)^(٥) امرأة المختار قال عمر بن أبى ربیعة^(٦):

إن من أكبر الكبائر عندى قتل بیضاء حُرْضة عطبولُ
قُتلت باطلاً على غیر ذنبی إن لله دُرْها من قتل
كُتِبَ القتلُ والقَتالُ علينا وعلى الغانیات جرُّ الذبولِ^(٧)

(١) دیوانه، ٩٠ وقد شبه مصعباً بالشهاب؛ البلاذری: أنساب، ٥/ ٢٧٠ وابن ذومة هو المختار.

(٢) هو عبدالله بن روبة بن بنی مالک من تمیم. شاعر أموی سمي لیت قاله (ت، نحو ٩٠ هـ/ ٨٠٨ م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٧٣٨؛ الأصفهانی: الغانی، ٢٠/ ٣٢٠.

(٣) العجاج، عبدالله بن روبة (ت، نحو ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م): دیوانه، تحقیق عزة حسن (کتبة دار الشرق، بیروت، ١٩٧١ م)، ٩٤٠٩٥.

(٤) دیوانه، ٤٣؛ البلاذری: أنساب، ٥/ ٢٦٩.

(٥) البلاذری: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الدینوری. الأخبار، ٣١٩؛ الیعقوبی: تاریخ، ٣/ ١١٣؛ الطبری: تاریخ، ٦/ ١١٢.

(٦) ابن أبی ربیعة، عمر بن عبدالله ربیعة المخزومی، شاعر غزلی أموی مشهور. (ت، ٩٣ هـ/ ٧١١ م). ترجمته: ابن قتیبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٧؛ الأصفهانی: الأغانی، ١/ ٧١.

(٧) ابن أبی ربیعة، عمر بن عبدالله بن ابی ربیعة المخزومی (ت، ٩٣ هـ/ ٧١١ م): دیوانه، (دار صادر، بیروت، دون تاریخ)، ٣٣٨٩؛ البلاذری: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الطبری: تاریخ، ٦/ ١١٢.

وقال الأحوص^(١)، وهو الآخر من شعراء الغزل، وهو الأنصاري منتصرًا لها:

ألم تعجبُ الأقوام من قتلِ حُرّةٍ من الجامعاتِ العقلِ والدينِ والحَسَبِ
من العاقلاتِ المؤمناتِ بريةً من الشُّكِّ والبهتانِ والإثمِ والريبِ
كانهم إذ برزوها فقطعت بأسيا فيهم فازوا بمملكةِ العَرَبِ^(٢)

وقال سعيد بن حسان بن ثابت (ت، ١١٥هـ/ ٧٤٣م) وهو من شعراء الأنصار محتجًا على قتلها:

أتى راكب بالأمر ذى النبأ العجيب بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحَسَبِ^(٣)
فكان هذا الشعر ردة فعل واضحة ضد قتل المرأة، فوثق الحدث واثّر فيه تأثيرًا واضحًا. لأن الشعر أصح وسيلة لتدوينه ونقده.

بعد مقتل المختر ضعف أمر الكيسانية التى كان يدعو إليها، والتى كان محمد بن الحنفية يتوجس منها لعدم وثوقه من نوايا المختر الذى رأى فيه أنه المهدي، وأن فى المهدي علامة وهى أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضر به فبلغ ذلك ابن الحنفية^(٤)، فقال نصر بن عاصم الليثى^(٥):

فارقتُ نجدة والذين تزرّقوا وابن الزبير وشيعة الكذبِ
والصُفرُ الأذانِ الذين تحيَّروا دنيا بلا فقهٍ، ولا بكتابِ^(٦)

(١) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/٦٤٨؛ الأمدى: المؤلف، ٥٩.

(٢) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م): شعره، تحقيق عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٢١١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٢٦٤.

(٣) سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الناصري. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٨/٢٦٨.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/١١٣.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٦٩-٢٧٠.

(٦) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/٤٧٥؛ ابن حجر: تهذيب، ١٠/٣٨١.

وكان ابن الزبير حبس ابن الحنفية في سجن عارم^(١)، فقال كثير^(٢) مظهرًا عقيدته الكيسانية:

تخبر من لا قيت أنك عائدٌ بل العائدُ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
وصى النبي المصطفى وابن عمه وفكّك أغلال وقاضى مغارم^(٣)

وإلى ذلك أشار السيد الحميري^(٤) بقوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وبنا إليك من الصبابة أولق
حتى متى وإلى متى وكم المدى يا ابن الوصى وأنت حى ترزق^(٥)

وهو يشير إلى اختفاء محمد بن الحنفية في جبل رضوى^(٦)، وأن المهدي سيبعث منه.

كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق سنة (٦٨ هـ / ٦٨٧ م)^(٧) حتى صاروا على قرب الكوفة ودخلوا المدائن. فسرّحوا جماعة فقتل أبو بكر بن مخنف^(٨) (ت، ٦٨ هـ / ٦٨٧ م)، فقال سراقه بن مرداس البارقي يذكر مقتله:

-
- (١) يعتقد أن موضعه الطائف: ياقوت، معجم البلدان، ٦٦/٤ (عارم).
(٢) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي، شاعر أموي غزلي (ت، ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٥٣٤/٢؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢٤٢.
(٣) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي (ت، ١٠٥ هـ / ٧٣٤ م): ديوانه، تحقيق إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)، ٢٢٤-٢٢٥؛ المسعودي: مروج، ٧٦/٣.
(٤) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ (ت، ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م). ترجمته: ابن المعتز، عبدالله بن المعتز العباسي (ت، ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م): طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦ م)، ٣٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ٧/٢٢٤.
(٥) السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد (ت، ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م): ديوانه، تحقيق شارك هادي شكر، (دار مكتبة الحياة، مكتبة سميا، بيروت، دون تاريخ)، ٢٩٢. ينظر: ١٣٥ و ١٧٣.
(٦) جبل بالمدينة، ياقوت: معجم البلدان، ٥١/٣ (رضوى).
(٧) الطبري: تاريخ، ١١٩/٦. والمدائن عاصمة دولة الفرس الساسانيين.
(٨) نفسه، ١٢٢/٦.

ألا يا لقومى للهموم الطَّوارقِ
ومقتلُ غطريفٍ كريمٍ نجاره
أتانى دُوين الخيفِ قتل ابنٍ مخنفٍ
فقلتُ، تلقاك الإلهُ برحمتهِ
وللحدثِ الجائى بإحدى الصَّفائقِ
من المُقدمين الذَّائدينَ الأصادقِ
وقد غوّرت أُولى النُّجومِ الخوافِقِ
وصلى عليك اللهُ ربُّ المَشارقِ^(١)

فلما رأى الناس بطء سير الحارث بن أبى ربيعة الملقب بالقباع والى ابن الزبير على الكوفة رجزوا به فقالوا:

سار بنا القُباع سَيراً تُكرًا
يَسيرُ يوماً ويُقيم شَهراً^(٢)

فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس، وأخذ الناس يرتجزون:

إن القُباعَ سَارَ سَيراً مَلَسًا
بين دَيرى ودَبَها حَمَسًا^(٣)

حتى إذا بلغ الخوارج أصبهان كان يخرج إليهم رجل يقال له أبو هريرة بن شريح^(٤)، وكان شجاعاً، فكان يحمل عليهم ويرتجز:

كيفَ ترونَ يا كِلابَ النارِ
شَدَّ أبى هُريرةَ المَرارِ
يَهْرُكمُ بالليلِ والنهارِ
يا ابنَ أبى الماحوزِ والأشرارِ
كيفَ تَرى جى على المِضمارِ!^(٥)

وفى سنة (٦٨هـ/٦٨٧م)^(٦) كان مقتل عبيدالله بن الحر الجعفى، فقد نشب الصراع بينه وبين مصعب بن الزبير، وقد أتاه سبعمائة من خلعاء القبائل فى عهد

(١) ديوانه، ٥٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/١٢٢.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/١٢٣.

(٣) نفسه.

(٤) عند المبرد اسمه: شريح. ينظر: المبرد: الكامل، ٢/٢٤٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/١٢٥.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/١٢٥؛ المبرد: الكامل، ٢/٢٤٩ وفيها خلاف عما ذكره الطبرى.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/١٢٨-١٢٩.

معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، كما رفض مبايعة المختار فبعث إليه من يقاتله، فكان يبعث بالنواحي فحبس المختار امرأته، ولكنه استطاع إخراجها من السجن، وكانت له غارات في أرض السواد كثيرة مع مجموعة من فتاك القبائل وخلعائها^(١)، وله في ذلك أشعار كثيرة، منها قوله:

أنا الحرُّ وابنُ الحرِّ يحملُ شُكْتِي طوال المرادى مشرفات الحوانك
فَمَنْ يَكُ أَمْسى الزعفرانُ خُلُوفُهُ فإن خلوفى مستثارُ السنابك
إذا ما غنمنا مَغْنَمًا كان قِسْمَةٌ ولم نَتَّبِعْ رأى الشَّحِيحِ المُتَارِكِ^(٢)

يشير إلى طريقة قسمتهم للمغانم، فهم يتصرفون كما كان يتصرف صعاليك العرب قبل الإسلام، لذا وصفهم بـ ((فتيان الصعاليك))^(٣)، ويصف المختار بالكذاب ويكثر من الفخر بنفسه^(٤) فكانت حياته ثورة دائمة وغارة مستمرة، وطمعاً في الجاه والسلطان؛.. لذلك بايع المختار فلما خيب أمله وعاداه كما عاداه الأمويون انحاز إلى جانب ابن الزبير^(٥).

وحين قاتل ابن الحر المختار مع مصعب قيل له: إن مصعباً يعطيك خراجاً بادوريا^(٦) على أن تباع وتدخل في طاعته؛ قال: أو ليس لى خراج بادوريا وغيرها، ولا آمنهم على شىء^(٧).

ولعل سبب ذلك إحساسه بالذنب لأنه لم ينصر الحسين، كما في قوله:

أيرجو ابن الزبير اليوم نصرى لعاقبةٍ ولم أنصر حسينا^(٨)

-
- (١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣-٢٩٨؛ الدينورى: الأخبار، ٢٩٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٩.
(٢) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣.
(٣) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٢.
(٤) نفسه، ١/ ١٠٢.
(٥) عطوان، حسين: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م)، ١٨٦.
(٦) طوج بالجانب الغربي من بغداد آنذاك. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٧ (بادوريا).
(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٢.
(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٧.

مما ولد لديه شعورًا قويًا بسوء النية من المتصارعين على السلطة، فقد وصفهم بالغش وكان حذرًا من قبائل قيس عيلان^(١)، فكان بذلك الإحساس لا يجد أمامه سوى طريق واحد هو الحرب والصعلكة، فلم يهب الموت وآمن بالقدر المحتوم والكتاب المؤجل، فكان إقدامه القوى وإيمانه بتفرده وخصوصية أفكاره دليل تدمر من الخضوع للقوى الطامعة بالسلطان:

تخوفنى بالقتل قومى وإئتما أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجلُ^(٢)

فرفض تهديدات ابن الزبير؛ لذا احتال عليه مصعب وأودعه السجن؛ ولكنه حين خرج منه يعود إلى غاراته في أرض السواد متمسكًا بوجهة نظره^(٣)، فكان كما قال عنه ابن همام السلولى:

ترنمت يا ابنَ الحرِّ وحدك خاليًا بقول امرئٍ نشوانٍ أو قولٍ ساقطٍ^(٤)

وهذا وصف لحالته وطبيعة نظرته للحياة مع أنه كان يرثيه؛ ولكن فروسية ابن الحر لا شائبة عليها، اصطدمت بفروسية مصعب فظل يتعقبه حتى شعر ابن الحر بقله حيلته، فبايع عبدالمملك مراوغة لمصعب واجتمع إليه بشر من أهل الموصل، فبدأ يضايقه، ولكن عبدالمملك كان يتوجس منه فتركه وحده، كما ساءت صلته بقبائل قيس عيلان لأنه هجاها. فكان يعبر عن ذلك بقوله:

يا لك يومٍ فات فيه نهى وغابَ عنى ثقتى وصحبي^(٥)

وكذلك كان يقول:

(١) نفسه، ١/٩٥، ١١٢.

(٢) شعره، ١/١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٢٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/١٣٣.

(٣) البلاذرى، أنساب الأشراف: ٥/٢٩٥-٢٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/١٣٢-١٣٨.

ينظره: شعره، شعراء أمويون، ١/٩٥ و ٩٨ و ١٠٧ و ١١٦ و ١٣٥.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٣.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٩٦-٢٩٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/١٣٧.

لو أن لي من شيعتي رجالاً مساعراً أعرفهم أبطالاً
لأحسنوا من دوني القتالاً ولم يهابوا في أوغى الآجالاً^(١)

فتألبت عليه قبائل قيس فجلعوا يرمونه ويقولون: أمغازلاً تجاهد!؟ حتى
قتلوه^(٢). إشارة على قوله عنهم:

ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل^(٣)

يعد شعر ابن الحر صورة حية، ووثيقة بالغة الوضوح في عرض حالة التمزق
التي انتابت جسد الدولة العربية الإسلامية، فكان أثره في تدوين الأحداث مهماً
لأنه يكشف الكثير عن جوانبها الخفية، وجوانب التفرد في النفس البشرية، بما يعبر
عن صراعات القوى والحوادث واختلاف المصالح، ويشير إلى أن الخليفة الأموي
كان ينتظر انجلاء الموقف وتحلخل قوة ابن الزبير والخارجين عنه؛ لذا كان شعر هذه
المعارك الصغيرة وسيلة إعلامية فعالة.

خرج عبدالملك إلى عين الوردية، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص المعروف
بـ (الأشدق) على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبدالملك فرجع على دمشق
فحاصره في سنة (٦٩هـ/٦٨٨م)^(٤) وكان عمرو يطمع بالخلافة لو عد سابق
فيقول:

يريد ابن مروان أموراً أظنُّها ستحملة منى على مركبٍ صعبٍ
وإن ينفذ الأمر الذي كان بيننا نحلُّ جميعاً في السهولة والرَّحْبِ
وإن تعطها عبدالعزيز ظلامه فأولى بها منا ومنكم بنو حرب^(٥)

(١) ابن أعمش الفتوح ٦/٢٣٣-٢٣٤. واستدركه القيسي، نوري حمودي وهلال ناجي: المستدرک على

صُنَاع الدواوين، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٣١١.

(٢) ابن حبيب: أسماء المعتالي، ٢/٢٦٨؛ البلاذري: أنساب، ٥/٢٩٧.

(٣) شعره، شعراء أمويو، ١/١٢٢؛ ينظر: ردزفر عليه في مجموع شعره، ١٦٨.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/٢٦٣؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٤٠. وعند ابن خياط سنة سبعين.

(٥) المرزباني: معجم الشعراء، ٥١.

وحين ظفر به عبدالعزيز بن مروان أنه عبد الملك قائلًا: ((ما منعك من أن تقتله))^(١)، فأدخل على عبد الملك، وقد استعد للغدر به^(٢)، فلم يدع مكانًا للطامعين بالخلافة من البيت الأموي في هذا الظرف^(٣) الدقيق؛ لذا قال أحد أصحابه:

غدرتم بعمر ويال مروان ضلّةً ومثلكم بينى البيوت على الغدر^(٤)

وقال عبد الملك حين قتله:

يا عمرو إن لا تدع شتيمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة اسقوتى^(٥)

وعندما فرغ منه تمثل فقال:

أذنيته منى لأمن مكره فأصول صولة حازم مُستمكن

غضبًا ومحبيه لدينى إنّه ليس المسيء سبيله كالمحسن^(٦)

وكان عبيد الله بن أبي رافع شامتًا، لأنّ الأشدق ضربه السياط، فقال:

صحت ولا شلت وضرت عدوها يمين هراقت مهجة ابن سعيد

وجدت ابن مروان الرشيد فعاليه أبا حديد العزم غير بليد^(٧)

وقال يحيى بن الحكم، ويقال بشر بن مروان، والأول أقرب:

أعنى جودا بالدموع على عمرو أعشية شددنا الخلافة بالغدر

كأن بنى مروان إذ يقتلونهم بغاث من الطير اجتمعن على صقر^(٨)

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٤.

(٢) الدينورى: الأخبار، ٢٨٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ٢٠٤.

(٤) الدينورى: الأخبار، ٢٨٧. ينظر: تمام الأبيات.

(٥) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٢٠٤/١٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٥.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٣؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٨؛

المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٣؛ ابن كثير: البداية، ٦/ ٣١٠.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٤٩.

(٨) نفسه، ٢-٤/ ١٤٤.

وقال يحيى بن سعيد اخو عمرو:

غدرتم بعمروريا بنى خيط باطلٍ ومثلكم بينى البيوت على الغدر^(١)

خلال هذه المرحلة، وبالذات منذ سنة (٧٠هـ/٦٨٩م)^(٢) بدأت الصراعات القبلية في بلاد الشام والجزيرة بين قيس وكنب أولاً ثم بين قيس وتغلب؛ لأن معظم العرب المستقرين في بلاد الشام كانوا من أهل اليمن مما ساعد على استمرار نفوذهم^(٣). وكانت قيس زبيرية وكنب مروانية^(٤) حيث استعر الصراع مجدداً بسبب ما لقيته قيس في مرج راهط. ففي ذلك يقول زفر ابن الحارث الكلابي زعيم قيس:

يا كلبُ قد كَلِبَ الزمانُ عليكم وأصابكم منى عذابُ تنزُلِ
إن السَّماوةَ لا سماوةَ فالحقوا بمنابتِ الزيتونِ وابنى بجدلِ^(٥)
فأجابه جواس بن القعطل:

دُسنا ولم نَفشَلْ هوازنَ دوسةً تركتَ هوازنَ كالفريدِ الأعزلِ
من بعد ما دُسنا ترائقُ هامها بالمشرقيَّةِ والوشيجِ الدُّبَلِ^(٦)

كان عمير بن الحُباب السُّلمي^(٧) (ت، ٧٠هـ/٧٩٠م) يغير مع زفر بنى تغلب؛ وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيدالله بن زياد حين قتل وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب. فلما رأت كلب المدر ما لقيته كلب البوادي من زفر بن الحارث

(١) البلاذري أنساب، ٢-٤/١٤٤.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤٢، ٢٣/٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣٠٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ١٣٩-١٤٠.

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨.

(٥) زفر، شعره، ١٦٩؛ البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨.

(٧) شاعر أموي وزعيم قبلي من قبائل قيس. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ٢٤٥؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٤.

وعمير بن الحباب أمروا عليهم حميد ابن حريث بن بحدل الكلبي^(١) فحصل
الصدام بين كلب وقيس^(٢). فقال بعض جهينة:

ألا هل أتى الأنصار إن ابن بحدلٍ حميدًا شفا كلبًا فقرت عيوئها
وأنزل قيسًا بالهوانٍ ولم تكن لتقلع إلا عند أمر يهينها^(٣)

فعدت كلب تذكر عبدالمك بلاءها في مرج راهط؛ لأن هذه الواقعة كانت
بسبب ثارات القبائل فيها^(٤). وقد تفاقم هذا الصراع أيضًا نتيجة انحياز رجالات
الأمويين إلى أخوالهم، فقد كان خالد ابن يزيد يتعصب لأخواله بنى كلب ويعينهم
على قيس فقال شاعر قيس:

أأنت تأمر كلبًا أن يقتلنا جهلًا وتمنعهم منا إذا قتلوا^(٥)

حتى أن بشر بن مروان قال لقبائل قيس: أتقتلون أنفسكم مع رجل ليس منكم،
إنما هو من كندة، فبلغ ذلك زفر بن الحارث^(٦)، فقال:

أجعل أجلافًا عليها عباؤها ككندة تمشى في المطارف والعصب^(٧)

ويذكر عمرو بن مخلاة الكلبي صراع قيس مع كلب في وقعة مرج راهط، وبلاء
كلب من أجل مروان بن الحكم وابنه عبدالمك فيقول:

فكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء الكرب عنه فأبصرا

(١) شاعر من كلب، ينظر: البغدادي: خزائن، ٥/٢٤٣.

(٢) البلاذري، أنساب، ح ٥/٣١٠-٣١١.

(٣) أبو تمام: ديوان الحماسة، ١٤٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤٥، ٢٣/١٨٩؛ التبريزي: شرح، ٢/٤١.

(٤) ينظر ما قاله جواس بن القعطل وبشر بن صفوان من كلب: أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٩؛
البحرئ: عبادة بن الوليد (ت، ٢٨٤هـ/٨٩٧م): الحماسة، تحقيق لويس شيخو اليسوعي (دار
الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ٨٠.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٦٨؛ التبريزي: شرح، ٤/٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٣.

(٧) شعره، ١٦٠؛ البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٣.

ومستسلمَ نَفْسَنَ عَنْهُ وَقَدْ بَدَت
نَواجِذُهُ حَتَّى أَهْلٌ وَكَبِرا
إِذا افْتخَرَ القِيسَى فاذْكَرَ بلاءَهُ
بِزِراةِ الضَّحَّاكِ شِرقى حَويراً^(١)

كان هذا الصراع نتيجة غياب السلطة القوية على التأثير السريع لاحتواء النزاعات الجانبية والمنافسات القبلية.

وعرض عوف القوافي^(٢) من قيس بحُميد بن بحدل فقال:

مَنا اللهُ أَنْ القى حَميدَ بنِ بحدلِ
بِمَنزِلَةٍ فيها على النصفِ مُعلماً^(٣)

كما قال في غارة قومه على بنى فزارة من بنى عبد ود، وبنى عليم من كلب^(٤):

فَسائِلِ جَحْجَبى وَبنى عَلى
وَتيمَ اللاتِ مِنْ عَقَدِ الحِزْما^(٥)

كما قال حلحلة بن قيس الفزارى^(٦):

وَمِنْ عَبدِ وُدٍّ قَد أَبْرَتِ قَبائِلًا
فغادِرتُهُم كُلاً يُطِيفُ بِوِ كُلى^(٧)

وقال على بن الغدير الغنوى^(٨) في قتل حلحلة:

وَحَلْحَلَةُ القَتيلِ مَعَ ابنِ بَدْرِ
وَأَهْلِ دَمَشقِ أنْجِيةِ عَزِينِ^(٩)

(١) أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٨؛ التبريزى: شرح، ٣٢/٤-٣٣. وينظر ما قاله عمر بن مخلاة عن بني ذبيان: البلاذرى: أنساب، ٥/٣١٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤٨/١٩.

(٢) عوف بن معاوية بن ذبيان (ت، نحو ١٠٠هـ/٧١٨م)، شاعر فحل. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٢٨؛ المرزباني: معجم الشعراء، ١٢٧.

(٣) شعره، شعراء أمويون، ٣/١٥٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٣٠٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٩٣.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/٣١٠.

(٥) عوف القوافي، شعراء أمويون، ٣/١٥٣. ينظر مدحه لعبد الملك: ٣/١٤٣-١٤٤.

(٦) حلحلة بن قيس بن الشيم بن سيار الفزارى. ينظر: البلاذرى، أنساب، ٥/٣١٠.

(٧) نفسه، ٥/٣١١.

(٨) ترجمته: البلاذرى: أنساب، ٥/٣١٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٥١.

(٩) البلاذرى: أنساب، ٥/٢١٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٥١. ينظر أيضًا: رثاء أرتاة بن سهية المري في شعره، ١٨٣.

يشكل شعر هذه الصراعات القبلية وثائق لها أثرها في تدوين تلك الأحداث ودراستها.

فلما انقضى أمر مرج راهط وصار زفر بن الحارث إلى قرقيسياء ومعه عمير بن الحباب السلمي، جعلوا يطلبان كلبًا واليانية يقتلى المرج ومعها قوم من بنى تغلب، وكان عمير يغير بالقيسية على كلب واليانية، وكان من معه من القيسية يسيئون جوار بنى تغلب ويسخرون من مشايخهم النصارى فأهاج ذلك بينهم شرًا لم يبلغ الحرب، وكانت قيس زبيرية وكتب أموية فتطور بينهما فيما بعد صراع محتدم في وقائع من سنة (٧٠هـ / ٧٩٠م)^(١) قيلت فيها أشعار كثيرة، وفي ذلك قال عمرو^(٢) بن الأيهم التغلبي:

ألم تر أن تغلب أهل عز، جبال معاقل ما يرتقينا؟
شربنا من دماء بنى سليم بأطراف القنا، حتى رويننا^(٣)

وقال زفر بن الحارث الكلابي من قيس يرد على تغلب:

ولما لقينا غصبة تغلبية يقودون جردًا للمنية ضمرًا
سقيناهم كأسًا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرًا^(٤)

وقال القطامي^(٥) (ت، ١٠١هـ / ٧١٩م) يشير إلى هذه الصراعات:

قَادَ الخيولَ ابنَ ليلي وهى ساهمةٌ حتى اغرنَ مع الظلماءِ إذ ظلما

(١) البلاذري: أنساب، ٣١٣/٥-٣١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ٣٠٦/٤ وما بعده.

(٢) وقيل هو عمرو بن الأهتم. ترجمته: البلاذري: أنساب، ٣١٥/٥؛ المرزباني: الموشح، ٧.

(٣) المرزباني: الموشح، ٧. ابن منظور: لسان، ٣١٦/٢ (سند). وللشاعر وهو يشير إلى شعيب بن مليل

وقد رد على نفع بن صفار المحاربي: البلاذري: أنساب، ٣١٥/٥ وله مساجلات أخرى: الجاحظ:

الحيوان، ١/٢٢٤؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/٢٠٢-٢٠٣.

(٤) زفر: شعره، ١٦٤. ينظر أيضًا تعريفه بابن بحدل حين رمى قرقيسياء بالمنجنيق: ١٦٣.

(٥) هو عمير بن شبيب التغلبي لقب بذلك لبيت قاله كان نصرانيًا فأسلم.

ترجمته: ابن سلام، طبقات، ٢/٥٣٤؛ ابن قتيبة: الشعراء، ٢٠/٦٠٩؛ الأمدى: المؤلف، ٥٥١.

أولى آل سُليم أو أبى عُميرٍ من ضربةٍ تُورث الأضعانَ والغَمما^(١)

وقد ذمَّ زفر عمير بن الحباب السُّلمى لأنه ترك كَلْبًا وأغار على قبائلِ نزار حين حصل القتال بين تغلب وقيس:

ألا من مبلغ عنى عُميرًا مقالةً عاتِبٍ وعليك زاري
أتركُ حَى ذى طَلَعٍ وكَلْبٍ وتكسرُ حدًّا نابك فى نزارِ
كمجتنح على إحدى يديه خانثُه بـوهنٍ وانكسارِ
بتغلبٍ تبتغى الأرياحَ جهلا وقبلكَ أفسدوا ریحَ التجارِ^(٢)

فى هذه الوقائع أخبار متداخلة ومختلفة الروايات كان الشعر على صحة الخبر أدل^(٣) وأوضح، لأنه أسهم فى كشف الصراعات وتفصيلها، وهو شعر كثير منتشر فى كتب التاريخ ودواوين الشعراء.

فى يوم ماكسين^(٤) سنة (٧٠هـ / ٧٩٠م)^(٥) استحکم الشريين قيس وتغلب وعلى قيس عُمير ابن الحباب السُّلمى وعلى تغلب شعيث بن مليل^(٦) فاقتلوا قتالًا شديدًا، فقال نُفيع بن صفار المحاربى:

تركنا الباقياتِ على شُعيثٍ سَواجِمَ عَبْرَةٍ ما ينقُضينا^(٧)

فأشار إلى مقتل شُعيث فى هذا اليوم، وكان زفر بن الحارث، قال حين أغارت تغلب على بنى الحريش ومن معهم من قُشير: شغلت قيس بغزلِ نسايتها عن هؤلاء النصارى. فقال عمير بن الحباب موثقًا ذلك:

(١) القطامى، عمير بن شيسم (ت، ١٠١هـ/٧١٩م): ديوانه، تحقيق د. إبراهيم السامرائى وأحمد مطلوب (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م)، ١٢٠.

(٢) زفر: شعره، ١٦٥. قيل هذا الشعر فى يوم الثرثار الثانى.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٣١٦/٥.

(٤) بلد الحابور. ياقوت: معجم البلدان، ٥/٤٣ (ماكسين).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ٤/٣١٠.

(٦) ينظر حوله: البلاذرى: أنساب، ٥/٣١٥-٣١٧.

(٧) نفسه، ٥/٣١٧.

ما همنا يوم شُعيث بالغرزل^(١) يوم انتضينا هن أمثال الشعل^(١)

وقال الراعي النميري^(٢) (ت، نحو ٩٧هـ / ٧١٥م):

أبا مالك لا تنطق الشعر بعدها
نحن تركنا تغلب ابنة وإبل
وأعطى القياد القائدين على كسر
كمكشير الأنساب منقطع الظهر^(٣)

واقترنت قيس وتغلب في يوم الثرثار^(٤)، فانهزمت قيس، فقالت ليلي بنت
الحمارس التغلبية:

خلوا لنا الثرثار والمزارعا
وجنطة طيسا وكرمًا يانعا^(٥)

ثم التقوا في الثرثار ثانية فأهزمت تغلب فقال عمير بن الحباب:

فدى لفوارس الثرثار نفسي
وولت عامر عنا فأجلت
وأعشر كالمصاعيب الزهال^(٦)
وما جمعت من أهل ومال
وحولى من ربيعة كالجبال
أكاو حهم بدهم من سليم

ووثق ذلك الأخطل فقال:

وأما عمير بن الحباب فلم يكن
فإن تذكروها فى معد فأنما
له النصف فى يوم الهياج، ولا العشر
أصابك بالثرثار راغية الكير^(٧)

(١) نفسه.

(٢) عبيد بن حصين النميري، سمي بذلك لكثرة وصفه الإبل. شاعر مشهور. ترجمته: ابن سلام، طبقات، ١/٧٩٩؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/٤٩٥.

(٣) الراعي النميري، عبيد بن حسين (ت، نحو ٩٧هـ / ٧١٥م): شعره، تحقيق نوري القيسي وهلال ناجي (مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ١٧٧-١٧٨.

(٤) واد عظيم بالجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/٧٥ (الثرثار).

(٥) ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/٣١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤٥/٣١٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/٣٢٠. ينظر في هذا المكان ما قاله زفر بن الحارث.

(٧) ديوانه، ٢/٤٥٧.

وأغارَ عُميرُ على الفُدين^(١) فاستسح ما فيها وقتل عامة أهلها، ويقال: قاتل فيها جميع بني تغلب فهزمهم^(٢)؛ فقال ابن الصفار موثقًا الحدث والمكان والقبائل:

لوتسأل الأرضَ الفضاءَ بأمرِكُم شهدَ الفُدينُ بهلكِكُم والصُّورُ
كذبتك شيبانُ الأخوةِ وأنفقتُ أسيافكُم يكُم سُدوسٌ ويشكُرُ^(٣)

ثم لقي عُميرُ بن الحُبابِ بني تغلب والنَّيرَ وعليهم يزيدُ بن هوبر التغلبي^(٤) بالسُّكيرِ^(٥)، فاقتتلوا قتالًا انهزمت به تغلب والنَّيرُ وهرب عُميرُ بن جندل^(٦)، فقال عُميرُ بن الحُبابِ:

وأفلتنا يومَ السُّكيرِ ابنَ جندلٍ على سايحِ غوجِ اللبانِ مُثايرِ^(٧)
وقال ابن صفار:

صبحناكم بهنَّ على سُّكيرٍ فلاقيتم هُناك الأُقورينا^(٨)

والتقت تغلب وقيس في المعارك^(٩)، فانهزمت تغلب فقال ابن الصفار:

ولقد تركنا بالمعاركِ منكمُ والحَضِرِ والثَّرثارِ أجسادًا جُثًا^(١٠)

ثم التقوا بالشَّرعيَّةِ^(١١)، فقال الأخطل يهجو ابن الصفار:

(١) تصغير الفَدن، قرية على شاطئِ الحابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٠ (الفُدين).

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٤) ينظر نسبه: البلاذري: أنساب، ٥/ ٣١٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٥) هي سُكيرِ العباس بالتصغير، بليدة صغيرة بالحابور. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣١ (سُكيرِ العباس).

(٦) من فرسان تغلب. البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١.

(٧) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٨) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٩) نفسه، ٥/ ٣٢١-٣٢٢.

(١٠) موضع بالجزيرة كما في ياقوت، معطم البلدان، ٣/ ٣٣٦ (الشَّرعيَّة).

(١١) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٤.

تظلل سبأغ الشرعية حوله رُبوضاً، وما كانوا أجنوه في قبر^(١)

وقال جرير^(٢) (ت، ١١٠هـ/٧٢٨) يهجو الأخطل:

ألم تر قيساً قيسَ عيلانَ دمروا خنازير بين الشرعية والدرب^(٣)

كما التقوا في البلخ^(٤) فانهزمت تغلب، فقال ابن الصفار:

زُرقي الرّماح ووقع كُلّ مهندٍ زلزلت قلبك بالبلخ فزالا^(٥)

وقال بعضهم:

تَسَامَت جُمُوعُ بَنِي تَغْلِبِ الْيَنَا فَكُنَّا عَلَيْهِمْ وَبِالَا

بَقَرْنَا النُّسَاءَ غَدَاةَ الْبَلِيخِ إِذَا جِئْنَا وَقَتْلْنَا الرَّجَالَا^(٦)

ووثقت هذه الأيام عودة القبائل إلى الصرع، وهي أحداث أسهم الشعر القبلي في توثيقها، ومعظمها حصل في سنة (٧٠هـ/٧٩٠م). فكانت أحد أسباب تريث عبد الملك بن مروان في القضاء على ابن الزبير لقربها منه ولاشتراك بعض القبائل الموالية لابن الزبير في حرب القبائل الموالية للأمويين، وفي هذا استنزاف لطاقت الطرفين القتالية؛ فضلاً عن كون بعض هذه الأيام جاءت ردّاً فعل على نتائج معركة مرج راهط، فكان لزفر بن الحارث غارات أخرى على كلب وتغلب حتى قالت امرأة من بني كلب ترثي قتلى قبيلتها:

(١) البلاذري: أنساب، ٥/٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣١٤.

(٢) جرير بن عطية الخطفي من كليب بن يربوع من تميم، شاعر فحل من العصر الأموي. ترجمته، ابن سلام، طبقات، ١/٩٢٧؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/٢٧٤.

(٣) جرير بن عطية الخطفي (ت، ١١٥هـ/٧٣٣م): ديوانه، تحقيق نعمان طه، الجزء الثاني (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م)، ٦٢٢.

(٤) اسم نهر بالرقعة. ياقوت: معجم البلدان، ١/٤٩٣ (البلخ).

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/٣٢٢-٣٢٣؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣١٥.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/٢٣٢.

أبعدَ من دَلَيْتِ من كوكبٍ يا نفسُ ترجينُ نِواءَ الرُّجالِ؟^(١)
فلما أغارَ عُميرُ بنُ الحُبابِ السُّلَميَ على كَلبٍ وأتبعَ مُحمَّدُ بنُ حُرَيْثِ بنِ بحدلِ
كان يقولُ لفرسه:

أقدمُ صُدَّامٌ إنَّه ابنُ بجدلٍ لا تُدرِكُ الخيلَ وأنَّتِ تَدألُ
ألا تمرُّ مثلَ مرِّ الأجدلِ^(٢)

وحين التقت قيس مع كلب في وقعة الغوير^(٣)، قال عُميرُ بنُ الحُبابِ:

تساءلُ من حيِّى رفيده بعدما قَضتِ وطراً من عبدٍ ودِّ وعاميرِ^(٤)
وأشارَ شبيلُ بنُ الخيتارِ إلى يومِ الإكليلِ^(٥)، بعد أن ولى مُحمَّدُ بنُ حُرَيْثِ بنِ بحدلِ،
فقال:

يخرجنُ من برضِ الإكليلِ طالعةً كأنهنَّ جرادُ الحرَّةِ الزُّودِ^(٦)

وكان عُميرُ بنُ الحُبابِ أغارَ على كلبٍ فلقى جمعا لهم بالأكليلِ فقتل منهم فأكثر،
فقالَت هندُ الجلاحيةُ^(٧) تحرضُ كلباً:

ألا هلِ ثائرٌ بدماءِ قومٍ أصابُهُم عُميرُ بنُ الحُبابِ؟
وهلِ فى عامِرٍ يوماً نكيرٌ وحيِّى عبدٍ ودِّ أو جَنابِ؟
فإن لم يثاروا من قدمِ أصابوا فكانوا
أبعدَ بنى الجُلاحِ ومن تركم
بجانِبِ كوكبٍ تحتَ الثُّرابِ^(٨)

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٤.

(٢) نفسه، ٢٣/ ١٨٤-١٨٥ وضام اسم فرسه.

(٣) ماء لكلب بأرض السواة. ياقوت: معجم البلدان: معجم البلدان، ٤/ ٢٢٠ (الغوير).

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٦. ينظر إشارته إلى الغوير، ٢٣/ ١٩٣.

(٥) اسم موضع ذكره عدي بن نوفل. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٤٠ (الإكليل).

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٦.

(٧) ينظر: الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٧.

(٨) نفسه.

فرد عليها عمير بن الحُباب قائلاً:

ألا يا هندُ هندُ بنى جُلاح سُقيت الغيثَ من قُللِ السَّحابِ
ألمأ تُخبري عَنَّا بأنَّا نردُّ الكبشَ أعضَبَ في ثبابِ^(١)

ثم استمرت الحرب سجالاتاً بين الطرفين كما وثق ذلك الشعر الذي اختص بوقائع القبائل^(٢).

لما رأت تغلب إلحاح عمير عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا على الحشاك^(٣)؛ وذلك في سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)^(٤)، فدفن إليهم عمير في قيس ومعه زُفر بن الحارث وابنه الهذيل، وعلى تغلب يزيد بن هوبر فاقتتلوا عند تل الحشاك أشد قتالاً وأبرحه، فنزل عمير يقاتل راجلاً وهو يقول:

أنا عمير وأبو المغلِّس قد أحبسُ القومَ بضنكِ المحيس^(٥)

وشدَّ على عمير جميل بن قيس الزهيري فقتله، فقال الشاعر يشير إلى مقتله على يد ابن هوبر:

أرقت بأثناء الفرات وشفني نوائحُ أبكاها قَتيلَ ابنِ هوبر
ولم تظلمى إن نُحتَ أمُّ مغلِّس قَتيلَ النصارى فى نوائحِ حُسْرِ^(٦)

فقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميراً:

وإن عميراً يومَ لاقته تغلبُ قَتيلُ جميلٍ لا قَتيلَ ابنِ هوبر^(٧)

(١) نفسه وينظر تمام القصيدة، ٢٣/ ١٨٨.

(٢) ينظر: ما قاله عمرو بن مخلاة ومنذر بن حسان والمجير بن اسلم وزُفر بن الحارث وعمير بن الحُباب وجهم القشيري ونُفيع بن الصفار والراعي النميري وعقيل بن علفة: البلاذري: أنساب، ٥/ ١٤٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٩-١٩٨.

(٣) واد بأرض الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٦٢ (الحشاك).

(٤) ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٥.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢٣.

(٦) جميل بن قيس من بني كعب بن زهير. نفسه، ٥/ ٣٢٤.

(٧) نفسه.

وهذا يؤكد اثر الشعر فى تدوين الحدث فهذا البيت يصحح مقتل
عُمير على يد جميل الزهيرى. وقال الأخطل مشيرًا إلى مقتل ابن الحباب فى
الحشاك:

فلاقى عُمير حتفه، فى رماحنا وما أنت، يا جحاف، عنها بهاربو^(١)

لما قتل عُمير بن الحُباب حاولت قيس الأخذ بثأره من تغلب وحين أحست
تغلب ذلك ارتحلت تريد عبورَ نهر دجلة، فلما صارت بالكُحيل^(٢)، لحقهم زُفر بن
الحارث فى القيسية فاقتتلوا قتلاً شديداً، واسر منهم مائتين فقتلهم صبراً^(٣). فقال
زُفر:

ألا يا عَيْنُ جودى بانسكابو وبكى عاصما وابن الحُبابو
فإن تك تغلب قتلت عُميراً ورهطاً من غنى فى الحرابو
قتلنا منهم مائتين صبراً وما عدلوا عُمير بن الحُبابو^(٤)

وأسر زُفر بن الحارث شاعرَ تغلب القطامى فقام بأمره حتى رد عليه ماله وجميع
ما أخذ منه ووصله^(٥). فقال القطامى فيه شعراً كثيراً منه قوله:

وعارضى الليل إذا ما اخضرُّ أخبرك البارح حين مُرّاً
إذا سوف تلقين جواداً حُرّاً ذسئد قيس زُفر الأغرّاً^(٦)

فلما وفد الأخطل على عبدالملك بن مروان فدخل عليه الجحاف بن حكيم

(١) شعره، ٢/ ٢٩٠. ينظر حول عمير بن الحباب: ١/ ٦٦-٦٩، ٨٠-٨١، ٢/ ٤٢٣-٤٢١؛ البلاذرى:

أنساب، ٥/ ٣٢٥-٣٢٦؛ ينظر: ما قاله زيد بن بشر التغلبى: الجاحظ: الحيوان، ٦/ ٣٣١.

(٢) تصغير الكحل، موضع بالجزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٣٩ (الكُحيل).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٨.

(٤) شعره، ١٦١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٨؛ الأصفهاني: الأغاني: ٢٣/ ٢٠٤.

(٦) ديوانه، ١٢٠. ينظر أيضاً، ١١٦، ١٢١، ١٣١، ١٥٠، ١٥١.

السُّلَمي^(١) (ت، ٩٠هـ/٧٠٩م)؛ فقال له عبدالمملك: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال:
نعم هذا الذي أقول فيه:

ألا سائل الجَحَاف هل هو نائِرٌ بقتلى أصيبت من سُلَيمٍ وعامِرِ^(٢)

وأشد القصيدة حتى فرغَ منها فتغالظا في الكلام فنهض الجحاف فافتعل عهدًا
على صدقات بكر وتغلب بالجزيرة، فشد على بنى تغلب بالبشر^(٣) ليلاً فقتل منهم
مقتلة كثيرة^(٤). فقال الأخطل:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى، والمُعول^(٥)
فردَّ عليه جرير قائلاً:

فإنك والجحاف يوم تحضُّه أردت بذاك لنكتُ والوِدُّ أعجل^(٦)

ويقال أن تغلب أحرقت قتلاها حتى لا يتبين الناس كثرتها^(٧)، فقال ابن الصفار:
لقد رفعت نار الشمردي لقوميه سَنارًا وخزياً وطار كُـلُّ مَطَارِ^(٨)
وقال الجحاف مشيراً إلى عمير بن الحُباب:

نعم سوف نبكيهم بكل مُهندي وننعى عميراً بالرماح الشَّواجِرِ^(٩)

(١) ينظر نسبه: الأصفهاني: الأغاني، ١٢/١٩٥؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٤.

(٢) الأخطل، شعره، ٥٢٨/٢.

(٣) بالكسر، اسم جبل يمتد من عُرُض إلى الفرات من أرض الشام من جهة الباية. ياقوت: معجم
البلدان، ٤٢٦/١٠ (البشر).

(٤) ينظر: الأخطل: شعره، ٥٢٨/٢. والخبر مذكور عند: أبو عبيدة: النقائض، ٤٠١/١؛ البلاذري:

أنساب، ٣٢٨-٣٣٩. ينظر أيضًا: الأصفهاني: الأغاني، ١٢/١٩٧-١٩٩؛ المرزباني: الموشح،

٢١٨-٢١٩؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣١٩-٣٢٠.

(٥) شعره، ٣٢/١؛ البلاذري: أنساب، ٢٣١/٥.

(٦) جرير: ديوانه، ١٤١/١.

(٧) البلاذري: أنساب، ٣٢٩/٥.

(٨) نفسه، ٣٣٠/٥.

(٩) المرزباني: الموشح، ٢١٩.

وقال يخاطب الأخطل بأبي مالك:

أبا مالك هل لمتنى إذ حضضتني على القتل أم هل لامنى لك لائعى^(١)

كما أشار جرير إلى يوم البشر في خطابه لأبي مالك:

أبا مالك: مالت برأسك نشوة وبالبشر قتلى لم تطهر ثيابها^(٢)

ويبدو أن ثمة هدفاً خفياً كامناً وراء تحريض عبد الملك للصراع بين تغلب وقيس مما أدى إلى إراقة الكثير من الدماء؛ ولعله يبغي من ذلك إبعاد القبائل عن دائرة الصراع السياسي وإدخالها في دائرة الصراع القبلي لإضعافها وسهولة السيطرة عليها.

وفي سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م)^(٣) كان مسير عبد الملك بن مروان على العراق لحرب مصعب ابن الزبير حتى يبلغ مصعبَ بأجميري^(٤)، فقال الشاعر:

أبيت يا مصعب إلا سيرا فى كل يوم لك باجميرا^(٥)

وكان مصعب لما سار إلى الكوفة أخذ معه مالك بن مسمع وزيد بن عمرو^(٦) فاستأذناه في الرجوع فأذن لهما. وقال: إنها لا يريدان خيراً^(٧)، فقال الشاعر:

إلحق أميةً بالحجازِ خالدًا واضرب علاوة مالك يا مصعبُ
فلئن فعلت لتحرمنَّ بقتله وليصون لك بالعراقِ المشرب^(٨)

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٢/١٩٩.

(٢) ديوانه، ٢/٢٦٤. ينظر القصائد الأخرى في الديوان، ٢/٢٧٤-٢٧٥، ١/٥٦-٥٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/٢٦٤-٢٦٥ وفيه مقتله سنة (٧٠هـ/٦٨٩م)؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥١ وفيه مقتل مصعب سنة (٧١هـ/٦٩٠م).

(٤) موضع دون تكريت. ياقوت: معجم البلدان، ١/٣١٤ (بأجميري).

(٥) المسعودي: مروج، ٣/١٠٥.

(٦) زيد بن عمرو بن الأشرف من الأزدي. ينظر: ابن حزم، جمهرة، ٣٧٠.

(٧) البلاذري: أنساب، ٥/٢٨٢.

(٨) نفسه.

وقال آخر:

أخاف عليك زيادَ العراقِ وأخشى عليك بنى مسمع^(١)

وحين تأخر لقاء جيش الزبيريين بالأمويين لحلول الشتاء^(٢)، قال عدى بن الرقاع
العاملين^(٣) (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م):

لعمري لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب
إذا شئت نازلت مستقدماً إلى الموت كالجمال الأجربر
فمن يك منا يكون آمناً ومن يك من غيرنا يهرب^(٤)

وأقبل عبد الملك من الشام يريد مصعباً ومعه خالد بن عبد الله بن أسيد^(٥)، فقال
خالد لعبد الملك: "إن وجهتى على البصرة وأتبعتنى خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب
لك عليها"^(٦). فوجهه عبد الملك، فقدمها مع مواليه متسخفياً في مواليه وخاصته،
فالتقى الأموية والزبيرية بالبصرة، ففقت عين مالك بن مسمع^(٧). فقال وهب بن
أبجر العجلي:

فلا ترج عند بابو ابن مسمع إذا كنت من حبي حنيفة أو عجل^(٨)

(١) نفسه.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١.

(٣) عدى بن زيد بن مالك بن الرقاع بن عاملة، شاعر أموي معروف. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر
والشعراء، ٢/ ٤٧٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١/ ٣٦٢.

(٤) العاملي، عدى بن الرقاع (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م): ديوانه، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن
(مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٢٤٨-٢٤٩؛ البلاذري: أنساب، ٥/
٢٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١.

(٥) خالد بن عبد الله بن السيد بن أبي العيص بن أمية. ترجمته: الزبير: نسب قريش، ١٨٩؛ ابن حبان:
الثقات، ٤/ ٢٠٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٢.

(٧) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٥٩.

(٨) نفسه، ٢-٤/ ١٥٨.

وقال الفرزدق:

نَحْنُ نَفِينَا مَا لِكَا عَنْ بِلَادِنَا وَنَحْنُ فَعَانَا عَيْنُهُ بِالنِّيَازِكِ^(١)

وقال غطفان بن أئيف^(٢):

كَيْفَ رَأَيْتَ نَصْرَ الْأَمِيرَا بِصِرْحَةِ الْمُرِيدِ إِذْ أَبِيرَا^(٣)

وأدرك مصعب مُرَّةَ بِنِ مِحْكَانِ^(٤) فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ مَرَّةٌ:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلْتِ^(٥)

فأقام مصعب بالبصرة ثم شخص إلى الكوفة لحرب عبد الملك، فنزل عبد الملك مَسْكِنَ^(٦). وكتب إلى مروانبة من أهل العراق، فأجابه كلهم، فسار إلى مصعب وقد خذله أهل الكوفة فسأل مصعب عن صنيع الحسين بن علي بإبائه النزول على حُكْمِ ابن زياد وعزمه على الحرب^(٧).

فخرج على القتال متمثلاً:

وَإِنِ الْأَلَى بِالطُّفْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسُّوا فَسَتُّوا لِلْكَرَامِ التَّأَسِيَا^(٨)

(١) ديوانه، ٥٧/٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦١.

(٢) أحد بني كعب بن عمرو بن تميم. البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢٠٤/١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/٣٥٣.

(٤) أحد بني سعد بن زيد مائة من تميم شاعر إسلامي (ت، ٧١هـ/٦٩٠م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/٣٤٨؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٣٩٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٣؛ المبرد: الكامل، ١/١٦٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥٥؛ ابن أعمش: الفتوح، ٦/٢٥٧.

(٦) موضع على نهر دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٥/١٢٧ (مسكن).

(٧) ابن خياط: تاريخ، ١/٢٦٤-٢٦٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥٦-١٥٧.

(٨) الشعر لسليمان قته. ينظر: البلاذري: أنساب (مطبعة يونس آبل، غريفرز ولد؛ ١٩٨٣م)، ١١/١٤؛ الدينوري: الأخبار، ٣١١؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/٢٩٨.

وَحَدَّرَ سُويِدُ بنَ مَنْجُوفِ السُّدُوسِيِّ^(١) مَصْعَبًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَدْرَهُمْ،
فَقَالَ:

فَأَبْلِغْ مَصْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وَلَا تَلْقَى النَّصِيحَ بِكُلِّ وَاوِدٍ
تَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ تَنَاجَى وَإِنْ أَدْنَيْتَهُمْ فَهُمْ الْأَعَادَى^(٢)

وقال الحارث المخزومي يهجو خالد بن عبدالله بن أسيد ويمدح آل الزبير:
حَامَتْ بَنُو أَسِيدٍ عَنْ مَجْدِ أَوْلِيهَا وَأَنْتُمْ كَنْعَامِ الْقَاعَةِ الشُّرُودِ^(٣)

وبعد أن عزل مصعب بن الزبير عميد الله بن زياد بن ظبيان^(٤) عن البصرة وولاه
الأحواز لحق بعبد الملك بعد مقتل أخيه، فلما كانت الواقعة بين عبد الملك ومصعب
عاجل ابن ظبيان مصعبًا بضربة فاحتز رأسه وألقاه بين يدي عبد الملك^(٥)، وهو
يقول:

تُعَاطَى الْمُلُوكَ الْحَقُّ مَا قَسَطُوا لَنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ^(٦)
فَأَنْشُدُ عَبْدَ الْمَلِكِ:

لَقَدْ أَرَدَى الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِجْسَى غُلَامًا غَيْرَ مَنَّا مِنَ الْمَتَاعِ
وَلَا فَرِحَ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ وَلَا هَلَعَ مِنَ الْحَدَثَانِ لَاعٍ
وَلَا قَافَةً وَالْخَيْلُ تُرْدَى وَلَا خَالَ كَأَنْبُوبِ الْيَرَاعِ^(٧)

(١) أو سويد بن منجوق السدوسي، أبو المنهال. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٢٣٢.

(٢) ابن بكار: الموفقيات، ٥٣٤؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٤٣.

(٣) ديوانه، ٥٥؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٤٣. ينظر ما قاله ابن ظبيان في الغدر بمصعب: ابن بكار:

الموفقيات، ٥٥٦-٥٥٧. وما قاله البيهقي الشكري: البلاذري؛ أنساب، ٥/ ٢٨٤؛ فتوح البلدان،
٢٧٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٦٠.

(٤) شاعر فاتك. ترجمته: ابن الكلبي: جمهرة، ٥٢٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ١٧٢ (مسكن).

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٣٣؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٦٠.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٣٣.

(٧) ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٩٧، ابن كثير: البداية، ٨/ ٣٢١.

وقال عدى بن الرقاع العاملي:

نحن قتلنا ابن الحواري مصعباً

أخا أسدٍ والمذحجي اليماني^(١)

ورثاه عبيد الله بن قيس الرقيات، فقال:

لقد أورثَ المصريين خزيًا وذلةً

قتيلَ بدارِ الجائلِيقِ مُقيمُ

تولَّى قتالَ المارقين بنفسه

وقد أسلماهُ مبعِذٌ وحميمُ

فما نصحت لله بكر بن وائلٍ

ولا صبرت عند اللقاءِ تميمُ

ولو كان بكرًا تعطفَ حوله

كتائبُ يعلى حميها ويدومُ

ولكنه ضاع الذمامُ ولم يكن

بها مضرى يومَ ذاكِ كريمُ^(٢)

ورثي شعراء كثير مصعبًا منهم أعشى همدان الذي قال:

وأضحى بدير الجائلِيقِ مُلجِبًا

فلا يبعدن من قتيلٍ مُلحِبِ^(٣)

تمتلك قصيدة أعشى همدان هذه خصوصيتها في أنها وثقت هذا الحدث بوضوح

وكانها سجل تاريخي أغنى عن الكثير من القصائد التي قيلت في رثاء مصعب^(٤)،

حينما أشار إلى الغادرين به، من أهل العراق الذين وصفهم بأنهم شر قوم؛ لأنهم

مكروا بابن الحواري، ثم أخذ يسرد من وقف معه وآزره، فقال:

(١) ديوانه، ٢٧٨. ويسب الشعر إلى البعث الشكري. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٤٤؛ البلاذري:

أنساب، ٣٤٢/٥؛ الطبري: تاريخ، ١٦٠/٦.

(٢) ديوانه، ١٩٦؛ الطبري: تاريخ، ١٦١/٦.

(٣) ولم أقف على البيت في ديوانه. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٥٥.

(٤) ممن رثاه عبدالله بن الزبير الأسدي في ديوانه، ٥٨، ٧٩. والرقيات في ديوانه، ٤، ١٣٣، ١٨٤، ١٩٦.

وأبو دهب في ديوانه، ٧٩. ووثق العيد من الشعراء مقتله منهم: أبو العباس الأعمى، وسالم بن

وابصة، وأبو السفاح اليربوعي، وعرفجة بن شريك، وموسى شهوات والعديل بن الفرخ، والأقشير

الأسدي. ينظر: الزبير بن بكار، الموفقيات، ٤٤٢، ٥٣٨، ٥٣٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٥؛ ٥

/٣٧٧-٣٤٤، ١١/١١-١٢؛ الدينوري: الأخبار، ٣١٣؛ المبرد الكامل، ١/٢٣؛ المسعودي:

مروج، ٣/١٠٨.

جَزَى اللهُ حَجَّارًا هُنَاكَ مَلَامَةً
وما كانَ عَتَابٌ لَهُ بِمَنَاصِحِ
ولا قَطَنٌ ولا بَأْسُهُ لَمْ يُنَاصِحَا
ولا العَتَكِي إِذَا مالَ لِوَأءُهُ
ولا ابْنِ رُوَيْمٍ لا سَقَى اللهُ قَبْرَهُ
وفَرَخَ عُمَيْرٌ مِنَ مَنَاجِ مُؤَلَّبِ
ولا كانَ عَنِ سَعْيِ عَلَيْهِ بِمُغْرِبِ
فَتَبًّا لِسَعْيِ الحَارِثِي المُتَسَبِّبِ
فولِي بِهِ عَنهُ إِلى شَرَشِ مَوَكِبِ
فبِأَجْدَعِ آخِرِ الدَّهْرِ مُوَعِبِ^(١)

ومن الراجح أن يكون الشعر الذى قيل فى آيل الزبير قد أسقطه الشعراء من شعرهم خوفًا من بنى أمية، أو أسقطه الأمويون أنفسهم^(٢).

وفى سنة (٧٢هـ / ٦٩١م)^(٣) وجه خالد بن عبدالله أخاه عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد^(٤) إلى قتال الأزارقة بفارس فهزموه. فقال الرقيات:

عبدالعزيز فضحت جيشك كلهم
من بين ذى عطشٍ يجود بنفسه
وقال أحد الخوارج:

إن عبد العزيز يوم حرورٍ
كان يرجو رجا المهلب فينا^(٥)

(١) ديوانه، ٣١٣. ويصف الشاعر مقتل إبراهيم بن الأشتر وإخلاصه لمصعب، وكيف قتل بطريقة تؤكد عمق أثر الشعر فى توثيق الأحداث. ينظر: ٣١٤-٣١٥. ومن الممكن ملاحظة ما قاله العجاج فى ديوانه، ١١٤-١١٧.

(٢) قاسم، عون الشريف: شعر البصرة فى العصر الأموي (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، ٥٤.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢-٤ / ١٦٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦ / ١٦٨-١٦٩.

(٤) توفى فى خلافة هشام بن عبد الملك. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥ / ١٢٣؛ ابن حجر: تهذيب، ٦ / ٣٠٦.

(٥) ديوانه، ١٩٠ وفى ديوان الخوارج، تحقيق نايف محمود معروف (دار الميسرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، لأبي حديد وللبيت رواية أخرى فى المكان نفسه.

(٦) البيت للمحصين بن مالك فى شعر الخوارج، ١٠٢.

وَيُرَوَّى أَنَّهُمْ قَتَلُوا أَصْحَابَهُ وَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ فَمَرَّ بِالْمُهَلَّبِ فَكَسَاهُ وَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ،
وَكَانَ يَقُودُهُمْ قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَاءَةِ^(١)، فَقَالَ الْحَارِثُ الْمَخْزُومِيُّ:

فَرَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمَا رَأَى الْأَبَّ طَالَ بِالسَّفْعِ نَازَلُوا قَطْرِيًّا^(٢)

وَطَلَبَهُ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ فَلَحَقَ بِيَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ وَقَالَ:

وَمَا كَفَّ عَنِّي خَالِدٌ عَنِ تَقْيِيَّةٍ وَلَكِنْ بَدَتْ دُونِي اللَّيْثُ الْهَوَاصِرُ^(٣)

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (٧٢٢هـ/٦٩١م)^(٤) وَجَّهَ عَبْدِ الْمَلِكُ الْحِجَاجَ بْنَ يُوْسُفَ (ت، ٩٥هـ/٧١٣م) إِلَى مَكَّةَ لِقِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ جَوَاسِرَ بْنَ الْقَعَطْلِ يَحْتُمُّ
عَبْدَ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ:

سَيِّرُوا إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَشَمِّرُوا لَا تُصَلِّحُوا وَسِوَاكُمْ مَوْلَاهَا^(٥)

وَقَالَ أَعْشَى بَنِي رَبِيعَةَ^(٦) (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م) يَحْتُمُّهُ أَيْضًا:

قَوْمُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ كَمَ لِلْفَوَاةِ أَطْلَمْتَ إِمْهَالَهَا^(٧)

ثُمَّ كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَالْحِجَاجِ بِيَطْنِ مَكَّةَ سَنَةَ (٧٣هـ/٦٩٢م)^(٨)
فَرَمَى الْحِجَاجُ الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيقِ، فَقَالَ الْأَقْيِشِرُ الْأَسَدِيُّ:

وَلَمْ أَرْ جَيْشًا بِالْحِجِّ مِثْلَنَا وَلَمْ أَرْ جَيْشًا مِثْلَنَا غَيْرَ مَا طُرْسِي

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٨.

(٢) ديوانه، ١٠٩.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/١٨٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/٣٧٦.

(٦) اسمه عبدالله بن خارجة بن حبيب بن شيبان من بكر بن وائل. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٨/

٧٠.

(٧) نفسه، ١٨/٧٢.

(٨) البلاذري: أنساب، ٥/٣٥٩؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٨٧.

دلفنا لبيت الله نمرى سُتورهٗ بأحجارنا زمن الولايد فى العرس^(١)

وقال عبدالله بن مطيع بن الأسود:

أنا الذى فررت يوم الحرّة والشيوخ لا يفرُّ إلا مرة
لأجزيين كمرّة يفرّة^(٢)

ووزع عبدالله بن الزبير فرسانه على أحياء ومداخل مكة، فوثق بعض أصحابه ذلك بقوله:

وجعلنا سداد المأزمين محمداً وحمزة للمسعى، وللردم هاشم^(٣)

فوثق هذا البيت الأماكن وأسماء المحاربين فحفظ الخبر التاريخي وأغناه وكشف عن أثر الشعر في حفظ الصّراعات، فأشار إلى محمد بن المنذر بن الزبير، وحمزة بن عبدالله وهاشم بن عبد الله^(٤) والمواضع التي قاتلوا فيها.

وكان يقاتل قتالاً شديداً وهو يقول:

صبراً عفاق إنّه شرُّ باقٍ قبلك سنّ الناس ضرب الأعناق
قد قامت الحرب بنا على ساق^(٥)

وعندما بدأ بعض أصحابه يلحق بجيش الحجاج، قال:

(١) الأبيات للأقيشر الأسدي في المستدرك على شعره: نوري حمودي القيسي، مجلة الرسالة الإسلامية العدد (٦٥)، السنة (٦)، (بغداد، شعبان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ٦٣. ينظر: الدينوري: الأخبار، ٣١٤. ومنسوبة أيضاً للأقيل بن شهاب الكلبي. لالبلاذري: أنساب، ٣٥٨/٥-٣٥٩، ٣٩/١١-٤٠؛ الأمدى: المؤلف، ٢٥.

(٢) الزبيرى: نسب قريش، ٣٨٤؛ البلاذري: أنساب، ٣٧٦/٥؛ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت، ٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد. العريان، الجزء الأول (المكتبة لتجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ١٠٤-١٠٥.

(٣) ابن بكار، جمهرة، ٤٨/١.

(٤) من آل الزبير بن العوام. ينظر: الزبيرى: نسب قريش، ٢٣٦؛ ابن حبان: الثقات، ٤٠٥/٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٣٦٤/٥.

فرت سلامان وفرت الثمرُ وقد تلاقى معهم فلا نفر^(١)

رمى الحجاج البيت بالمنجنيق فسقطت على المنجنيق عاصفة في يوم مطير، فقال: لا يروعنكم فإنها صواعق تُهامة، وجعل أهل الشام يقولون وهم يرمون:

يا ابن الزبير طال ما عصيكا وطال ما عنتنا إلكا
لتجزين بالذى أتىكا لنضربن بسيفنا قفىكا^(٢)

فكان حجر المنجنيق يجيء عبد الله بن الزبير فيقال له تنح فيقول:

سهل عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها
فليس بأتىك منهىها ولا قاصر عنك مأمورها^(٣)

وكان يقاتل في الرعيل الأول ويتمثل:

فلست بمستطاع الحياة بسببتي ولا مرتقى من خشبة الموت سلما^(٤)

وحين قتل رثاه عمرو بن معمر الهذلي فقال:

فإن يك هذا الدهر أودى بمصعب وأصبح عبد الله شلوا ملحبا^(٥)

ودخل عبد الله بن الزبير الأسدي على عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير فقال:

مشى ابن الزبير القهقري فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات
وجئت المجلى يا ابن مروان سابقا أمام قرش تنفض العذرات^(٦)

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٩٧هـ/ ١١٩م): صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الجزء الأول (مطبعة الأصيل، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٧٧١.

(٢) البلاذري: أنساب، ٣٦٣/٥.

(٣) نفسه، ٣٦٢/٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ١٩١/٦؛ ابن الجوزي: صفة، ٧٧٠.

(٥) المرزباني: معجم الشعراء، ٤٤. ولجعفر بن الزبير في قتاله مع أخيه. الأصفهاني: الأغاني، ٧/١٥.

(٦) ديوانه، ٦٤. ينظر ما قاله أبو دهل في ديوانه، ٧٥ وما قاله سليمان بن سلام الجمحي في البلاذري: أنساب، ٣٧٨/٥.

وفي سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م)^(١) ولى المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة^(٢) من قبل
عبدالمك. فقال رجل من الخوارج يرتجز:

قل للمحليين أتاكم صالحٌ

وصالح في الحرب كبش ناصح^(٣)

وناهضهم المهلب فأجلاهم عن رامهرمز^(٤) من غير قتال شديد حتى نزلوا
كازرون^(٥) وذلك في السنة التالية^(٦) (٧٥هـ/ ٦٩٤م) فزحفوا إلى المهلب ليلاً
ليبيتوه، فوجوده قد أخذ حذره، فمالوا نحو عبدالرحمن بن مخنف^(٧) (ت، ٧٥هـ/
٦٩٤م) فوجوده لم يخندق فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل في أناس من
أصحابه فقتل، وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لمن العسكر المكل بالصر عى فهم بين ميّت وقتيل^(٨)

وقال سراقه بن مرداس يرثيه ويوثق مكان مقتله:

ثوى للأزد بن أزد شنوءة وأزد عُمَان رهن رَمَس بكَازر^(٩)

وفي هذه السنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م)^(١٠) ولى عبدالمك الحجاج بن يوسف الثقفي

(١) الطبري: تاريخ، ٦/ ١٩٥.

(٢) وهم أصحاب نافع بن الأزرق. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):
الملل والنحل، تعليق أحمد فهمي محمد، الجزء الأول (مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الأولى،
١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)، ١٧٩.

(٣) الرجز لصالح بن مخراق العبدي. ينظر: شعر الخوارج، ١٢٤.

(٤) مدينة بنواحي خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٧ (رامهرمز).

(٥) مدينة بفارس بين البحر وشيراز. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٩ (كازرون).

(٦) الطبري: تاريخ، ٦/ ٢١١-٢١٢.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: ديوان الخوارج، ٢٣٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٢١٢.

(٩) ديوانه، ٤٣. ينظر، ٤٤-٤٥.

(١٠) الطبري: تاريخ، ٦/ ٢٠٢-٢٠٣.

(ت، ٩٥هـ/٧١٣م) العراق دون خراسان وسجستان، فقدم الكوفة وخطب في مسجدها، فقال متمثلاً:

أنا ابنُ جَلا وطَدَاعِ الثُّنَايا متى أضَع العِمامةَ تعرفونى^(١)

وأمر الناس بالالتحاق واشهر السيف على من يتخلف، وقتل فعلاً عُمير بن ضابى^(٢)، فقال عبدالله بن الزبير الأسدى:

تخير فإما أن تزور ابن ضابئ عُميراً وإما أن تزور المُهلبا^(٣)

ثم بعث المدد على المهلب لقتال الخوارج فقال الشاعر:

قل للمهلب قد أتتك معاشرًا حُشروا إليك كحُشِرِ أهلِ البرزخ^(٤)

وقال سَوَّار بن المُضرب^(٥)، وكان عاصياً:

أقاتلى الحجاج إن لم أدر له درت وأترك عند هندٍ فؤاديا^(٦)

فقال العدیل بن الفرخ^(٧) (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م):

لقد جردَ الحجاجَ للحقِّ سيفه ألا فاستقيموا لا يميلنَّ مائل^(٨)

وفي سنة (٧٦هـ/٦٩٥م)^(٩) دخل شيب^(١٠) (ت، ٧٧هـ/٦٩٦م) الكوفة

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي: ينظر: الجاحظ: البيان، ٢/٣٠٨؛ المبرد: لا كامل، ١/١٣٢؛ الطبري: تاريخ، ٦/٢٠٢؛ ابن أعمش: الفتوح، ٧/٥.

(٢) عمير بن ضابئ بن الحارث اليربوعي قتل سنة ٧٥هـ. ينظر: المرزباني. معجم الشعراء، ٧٣.

(٣) ديوانه، ٥٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) البلاذري: أنساب، ١١/٢٧٧؛ الطبري: تاريخ، ٦/٢١١.

(٥) أحد بني ربيعة بن كعب بن سعد. ينظر: البلاذري، أنساب، ١١/٢٧٨.

(٦) نفسه.

(٧) من بني عجل من بكر بن وائل (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م). ينظر ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/٣٩١؛

الأصفهاني: الأغاني، ١٣/٢٧٥.

(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/٣٠٥.

(٩) بن خياط: تاريخ، ١/٢٧٢-٢٧٣؛ الطبري: تاريخ، ٦/٢٢٤.

(١٠) شيب بن يزيد بن نعيم الشيباني أحد زعماء الخوارج. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٤١٠؛ ابن

خلكان: وفيات، ٢/٤٥٤.

ومعه زوجته غزاله^(١)، فقال عمران بن حطان^(٢) مخاطبًا الحجاج حين لجج في طلبه:

أَسْدٌ عَلِيٌّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ رِيْدَاءٌ تُجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبِكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ
صَدَعَتْ غَزَالَةٌ قَلْبَهُ بِفَوَارِسِ تَرَكْتَ مَنَائِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ^(٣)

وقد وُظف عمران بن حطان ((مواهبه الشعرية في خدمة مذهبه، فلا عجب أن يبدى الحجاج قلقه وخوفه من انتشار أفكاره))^(٤) خشية إفساد الناس عليه.

وضرب شبيب باب القصر في الكوفة، ثم قال:

وَكأن حَافِرَهَا بِكَلِّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَحِيحٌ مَعْلُومٌ
عَبْدٌ دَعَى مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ^(٥)

يشير إلى نسب الحجاج، ونسب ثقيف فيطعن فيهم.

وفي سنة (٧٧هـ/٦٩٦م)^(٦) دخل شبيب الكوفة ثانية، فقتل عتاب بن ورقاء^(٧) الرياحي (ت، ٧٧هـ/٦٩٦م)، فقال يزيد بن حبناء^(٨):

-
- (١) هي زوجة شبيب. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٤١٠؛ ابن خلكان، وفيات، ٤٥٤/٢.
 - (٢) عمران بن حطان السدوسي من شعراء الخوارج (ت، ٨٤هـ/٧٣٠م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/٤٧؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٨/٥٠.
 - (٣) شعر الخوارج، ١٦٦. ينظر: ما قاله عتاب أصيلة الشيباني، ١٨٢-١٨٣.
 - وحول غزالة ينظر: ابن خياط: تاريخ، ١/٢٧٤؛ ابن خلكان: وفيات، ٤٥٤/٢.
 - وحول ما قاله مصقلة بن عتبان الشيباني ينظر: المسعودي: مروح، ٣/١٩٣.
 - وما قاله ايمن بن خريم: ديوانه، ٤٣.
 - (٤) خليقات، عوض محمد: نشأة الحركة الأباضية (مطابع دار الشعب، عمّان، ١٩٧٨م)، ٧٣.
 - (٥) الطبري: تاريخ، ٦/٢٤١.
 - (٦) الطبري: تاريخ، ٦/٢٥٧-٢٦٧.
 - (٧) نسبه عند ابن الكلبي: مهرة، ٢١٧.
 - (٨) يزيد بن حبناء بن عمرو. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/٢٢٠.

ونجى ابن ورقاء الرياحى سابحاً شديداً مناط القصرين عثم^(١)
فقال أحد الخوارج:

ألوت بعتاب شوارد خيلنا ثم أنثنت لكتائب الحجاج^(٢)

ووقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطرى بن الفجاءة، فخالفه بعضهم واعتزله، وباع عبدربه الكبير^(٣)، وأقام بعضهم على بيعة قطرى. فنهض إليهم المهلب، فقاتلوه قتالاً شديداً، فلما اشتد الحصار على قطرى حاول الهرب^(٤)، فقال له أحد أصحابه:

فمت قطرى إن فى الموت راحة وأنت لديه لا محالة صائر^(٥)

وقال كعب بن معدان الأشقرى مشيراً إلى أيام المهلب:

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد شبت لنا ولهم نار لها شر^(٦)

وعن أيام المهلب فى قتاله الخوارج فى سابور^(٧)، قال مجاهد بن عظيم التميمى:

إنما تطمع الأزارق فى الحر بو إذا لم يكن قتال حبيب
فإذا ولى القتال حبيب فلهم عند ذلك كنهه نحيب

(١) شعر الخوارج، ٨٤. ينظر: مقاله عبدالواحد الأزدي فى هزيمة سبب فى السبخة، ١٨٤.

(٢) الأبيات لحبيب بن خدره الهلالي مولا هم ينظر تمامها. شعر الخوارج، ٢١٠-٢١١؛ ديوان الخوارج: ٤١.

(٣) ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/٣٠١.

(٤) نفسه، ٦/٣٠٠-٣٠٤.

(٥) هو حصين بن حفصة السعدي، شعر الخوارج، ١٠٤. ينظر: تمام القصيدة وينظر: قول عبيدة بن هلال الشكري فى عبد ربه الكبير، ٩٨ وأحد الأزارقة، ١٣٤.

(٦) شعره، شعراء أمويون، ٢/٣٩٨. للمزيد، ٣٩٦، ٤١٣.

(٧) شاه بور، قرب شيرا. ياقوت: معجم البلدان، ٣/١٦٧ (سابور).

سَلْ لِعَمُورِ الْقَنَا غِدَاةَ كَنَا الـ مهرة والسُّنَانِ مِنْهُ خَضِيبٌ^(١)
وفى ذلك يقول المغيرة بن حبناء:

إن المهلب فى الأيام فضله على منازل أقوام إذا ذكروا^(٢)

وكان المهلب يعلم جُنْدَهُ تَعْلِيمًا حَرْفِيًّا صَارِمًا، حتى أن المغيرة بن حبناء حاوره بعد أن انتهى من إحدى خطبه شعرًا، فقال:

يَعْلَمُنَا الْمَهْلَبُ كُلَّ يَوْمٍ قِتَالِ الْقَوْمِ تَعْلِيمِ الْكِتَابِ
وَيَلْبَسُنَا السَّلَاحَ إِذَا أَمَّنَا لِنَحْدَقَ لِبَسَهُ وَالنَّقْعَ كَابِ
وَعَابَ حَيَاتِنَا بِالْجَبْنَ حَتَّى كَأَنَّ حَيَاتِنَا دِينَ الْمَعَابِ
وَيَجْزَى الْمُحْسِنِينَ بِمَا أَتَوْهُ وَيُعْفَى الْمَذْنِبِينَ مَعَ الْعِتَابِ
وَيَضْرِبُ دُونَنَا بِالسَّيْفِ صَلَاتًا وَيَضْرِبُ كُلَّ مَطْرِدِ الْكِعَابِ^(٣)

وحاصر سفيان بن الأبرد الكلبي^(٤) فى سنة (٧٧هـ/٦٩٦م)^(٥) الخوارج من أصحاب عبيدة بن هلال، فأمر سفيان مناديه فنادى فيهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبيدة:

لِعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصْمُ بِخُطْبَةٍ لَذَى الشُّكِّ مِنْهَا فِى الصُّدُورِ غَلِيلُ
لِعَمْرِي لَشَنْ أَعْطَيْتَ سُفْيَانَ بِيَعْتَى وَفَارَقْتَ دِينِي إِنْ نَسِيَ الْجَهْلُ^(٦)

(١) ابن أعمش: الفتوح، ٦/٣٧. ينظر: ما قاله عمرو لاقتنافي شعر الخوارج، ٨٨، ١٣٥.

(٢) شعره، شعراء أمويون، ٣/٧٨.

(٣) شعراء أمويون، ٣/٨٠-٨١.

(٤) من بني حارثة بن جناب من كلب. ينظر: ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/٣١١.

(٦) شعر الخوارج، ١٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/٣١١. ينظر الأبيات (١-٨).

وفيهما تقاعس أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد^(١) (ت، ٨٧هـ/ ٧٠٥م) عن
الجهاد فكتب أهل خراسان إلى الحجاج:

أحجاج بن يوسف أنتَ راعٍ وراعى القوم يحفظ ما أضاعوا
ولنا معشر من جَدم قَيْشٍ لنا فى الناسِ مكرمة وِباعٍ^(٢)
ولما أحرق أمية السفن قال أحد أصحابه:

تركت أمرك من جبنٍ ومن خَوْرٍ وجتتنا حُمَّقا يا ألامَ العَرَبِ
لما رأيتَ جبالَ السُّغدِ مُعرضةً ولَيْتَ موسى ونوحًا عُكوةَ الذَّنْبِ^(٣)
وعبر أمية نهر بلخ^(٤). فقال عبدالرحمن بن خالد المخزومي^(٥):

ألا أبلغ أمية أن سيُجزى ثوابَ الشَّرِّ إن له ثوابا^(٦)

وفى سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م)^(٧) كان هلاكُ شبيب وقطرى وعبيدة بن هلال وعبد
ربه الكبير من زعماء الخوارج، وكان قطرى يرتجز يوم قتل شبيب ويقول:

أنا أبو نعامَ الشيخِ الهَبْلِّ أنا الذى وُلدت فى أخرى الإبلِ^(٨)

وهو حين يوثق الحدث فى شعره يكشف عن صورة واضحة لحقيقة قلبه وعقله،
فهو صدى لعقيدة الخوارج، فى مجابهة الموت ومقارعة الخصوم، فرثاهم الأصم
الضَّبى^(٩) فقال:

(١) أموي النسب. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٤٠؛ ابن حجر: تهذيب، ١/ ٣٢٥.

(٢) ابن أعمش: الفتوح، ٧/ ١٦.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٣.

(٤) مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٧٩ (بلخ).

(٥) عبدالرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٧.

(٦) نفسه.

(٧) الطبرى: تاريخ، ح ٦/ ٣١٨.

(٨) شعر الخوارج. ص ١٢١.

(٩) هو قيس بن عبدالله، أحد بني عبدمناة بن بكر بن سعد بن ضبة، شاعر كان حروريًا.

ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٥٢.

ذَكَرْتُ الشَّرَاةَ الصَّالِحِينَ وَقَدَ فَنَوَا
بِقَوْمِسَ فَارْفُضَتْ مِنَ الْعَيْنِ عِبْرَةً
فَقَلْتُ لِأَصْحَابِي قَفُوا حِينَ أَشْرَفُوا
إِلَى بَلَدِ الشَّارِينَ أَضَحَتْ عِظَامُهُمْ
وَذَكَرْتَنِي أَهْلَ الْقُرَانِ السَّدُورُ
يَجُودُ بِهَا رِيعَانَهَا الْمُتَحَدَّرُ
قَلِيلًا لَكِي نَبْقَى وَقُوفًا وَنَنْظُرُ
تَضْمَنُهَا مِنْ أَرْضِ قَوْمِسَ أَقْصَرُ^(١)

وغزا شريح بن هاني الحارثي^(٢) (ت، ٧٩هـ/٦٩٨م) سجستان في سنة (٧٩هـ/٦٩٨م)^(٣) فكان يرتجز ويقول:

أَصْبَحْتُ ذَا بَثِ أَقَاسَى الْكَبِيرَا
تُمَّتَ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا
وَيَوْمَ مَهْرَانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا
وَبِاجْمَرَاتٍ مَعَ الْمُشْقَرَا
قَدَ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَعْصَرَا
وَيَعْدُهُ صَدِيقَهُ وَعُمَرَا
وَالْجَمْعَ فِي صَفِينِهِمُ وَالنَّهْرَا
هِيَاتَ مَا أَطُولَ هَذَا عُمَرَا^(٤)

ذهب سيل الجحاف بالحجاج بمكة سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)^(٥) في يوم الاثنين، فقال الراجز:

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ
وَخَرَجَ الْمُحَبَّاتُ يَسْعِينُ
أَكْثَرَ مَحْزُونًا وَأَبْكَى لِلْعَيْنِ
ظَوَاهِرًا فِي جَبَلَيْنِ يَرْقِينُ
وَذَهَبَ السَّيْلُ بِأَهْلِ الْمَصْرِينِ^(٦)

(١) شعر الخوارج، ١٢٧؛ ينظر حول أحداث الجوع في هذه السنة ما قاله أعشى همدان في ديوانه، ٣١٧.

(٢) شريح بن هاني بن فريد الحارثي، أبو المقدم. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/٣٥٣؛ ابن جر: تهذيب، ٤/٢٩٠.

(٣) الطبري: تاريخ، ٦/٣٢٢.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٤٥١.

(٥) سمى بذلك لأنه ذهب بكثير من الحاج وأمتعتهم ورحالهم. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٣٥٧.

(٦) نفسه، ٣٥٧.

وفي سنة (٨١هـ / ٧٠٠م)^(١) قتل بحير بن ورقاء الصُّرَيْمِي بخراسان، وكان الأبناء توعوده، فقال:

توعَدنى الأبناء جهلاً كماثماً يرون فنائى مُقَفِراً من بنى كعب^(٢)

فحصَّ عليه عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد، أحد بنى عوف بن سعد من الأبناء رجلاً من آل بكير، فقال:

فلو كنتَ من عوفِ بن سعد دُؤَابَةً تركتَ بحيراً فى دمٍ مُترقِرِ
فقل لبحيرِ نم ولا تخشِ ثائِراً بعوفٍ فعوفٌ أهلِ شاةٍ حَبَلِقِ

فلو كان بكر بارزاً فى أداتِهِ وذى العرش لم يُقدم عليه بحير^(٣)

وفي سنة (٨١هـ / ٧٠٠م)^(٤) خالف عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث^(٥) (ت، ٨٤هـ / ٧٠٣م) الحجاج ومن معه من جند العراق، فتمثل حين سار:

خلعَ الملوكَ وسارَ تحتَ لوائِهِ شَجَرُ العُراءِ عراعر الأقبامِ
وأغرُّ مِن ولَدِ الأرقامِ ماجِدٍ صلتُ الجبين مُعوذُ الإقدامِ^(٦)

فأخذ يستميل عبَّادَ أهلِ الكوفةِ وقُرَّائِهِم حتى خرجوا معه وآتِيهِم الناس، ثم انقاد إلى طاعته أهل البصرة فبايعوه على حرب الحجاج وخلع عبدالملك^(٧). فلما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك يسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، متمثلاً بقوله:

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١.

(٢) نفسه، ٦/ ٣٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٤٥٧.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١. ينظر ما قاله أحد الأبناء: ٦/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٤.

(٥) من كندة خالف الحجاج فقتل. ترجمته: الذهبي، العبر: ١/ ٧٤؛ ابن حجر: تهذيب: ٦/ ٢٣.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الدينورى: الخبار، ٣١٧؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١.

(٧) ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤١؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١؛ الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ٤٦.

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم
 وهل سموت بجرار له لجب
 وهل تركت نساء الحى ضاحية
 حرباً تُفرق بين الحيرة والخلط
 جم الصواهل بين الجم والفرط
 فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط^(١)

فكتب إليه عبدالمكك كتاباً وجعل في طيه جواباً لابن الأشعث:

ما بلل من أسعى لأجبر عظمه
 أظن خطوب الدهر بينى وبينهم
 ولانى وإياهم كمن نبة القطا
 أناة وحلماً وانتظاراً بهم غدا
 جفاظاً وينوى من سفاهة كسرى
 ستحملهم منى على مركب وعر
 ولو لم تنبأ باتت الطير تسرى
 فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر^(٢)

وخرج ابن الأشعث من سجستان إلى العراق كان بين يديه أعشى همدان^(٣)
 يرتجز:

شطت نوى من داره بالإيوان
 فالبند ينجين إلى طرداسستان
 من عاشق أضحى بزابلستان
 كذابها الماضى وكذاب ثان
 إيوان كسرى ذى القرى والرئحان
 فالجسر فالكوفة فالغريان
 إن ثقيفاً منهم الكذابان
 أمكن رى من ثقيف همدان^(٤)

إذ يوثق هذا الرجزك الغطريف (عبدالرحمن) وقبائل قحطان وبنى معد بن
 عدنان ومذحج وهمدان، ويهدد الحجاج وابن مروان. ويدعو الأخنس بن غياث^(٥)
 بن الأشعث بالأزهر حينما يخاطب الحجاج بقوله:

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٨.

(٢) المبرد: الكامل، ١/ ١٦١.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧.

(٤) ديوانه، ٣٤١-٣٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧. وينظر: رجز ابنة سهم بن غالب الهجيمي حيث

وصف عبدالرحمن بالمنصور. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٤.

(٥) أحد بني صعيب بن وهب من نزار، شاعر فارس. ترجمته: الأمدى، المؤلف، ٣٠.

ألم تر أن الأزهر بن محمد
لما عاق من المحلّين ما نِعُ
رأهم أناساً ينطقون عن الهوى
بديعاً وما فى المحكمات بدائع^(١)

وفى سنة (٨٢٢هـ/٧٠١م)^(٢) كانت وقعة الزاوية^(٣) بين الحجاج وابن
الأشعث، وفيه قتل الطفيل بن عامر بن وائل^(٤) ت، ٨٢٢هـ/٧٠١م، وقد كان وهو
بفارس يقبل مع عبدالرحمن من كَرمان^(٥) الحجاج:

ألا أبلغ الحجاج أن قد أظلمت
عذاباً بأيدي المؤمنين مُصِيبُ
متى نهبط المصرين يهربُ محمداً
وليس بمُنجى ابن اللعين مُصِيبُ^(٦)

وأصيب الحرّيش بن هلال السّعدى، وكان يقاتل قتالاً شديداً ويرتجز:
أنا الحرّيش وأبو قدامه
أضربُ بالسيف مَقْبِلَ الهامّة
أشجع من ذى لِبْدٍ ضرغامه^(٧)

وخرج أبو جلدة الشكرى^(٨) بين الصّفين وهو يقول:
تركناهم صحنَ العراقِ وناقلت
فقل للحواريّاتِ يبيكن غيرنا
نبأ الأعوجيات الطّوالِ الشّرايحُ
ولا تبكنا إلا الكلابُ النّوايحُ^(٩)

(١) نفسه.

(٢) ابن خياط، تاريخ، ١/ ٢٨٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٢.

(٣) موضع قرب البصرة كما فى ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢١٨ (الزاوية).

(٤) أحد بني كنانة بن خزيمه بن مدركة. ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٢١٨؛ ابن الكلبي: جمهرة، ١٤٦.

(٥) ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٥٤ (مكران).

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٣. ينظر ما قاله أبو حراية عن ابن الأشعث. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٥.

(٧) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٥٠-٣٥١. وينظر: رثاء حميدة بنت زياد لأبيها، الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٤.

(٨) أبو جلدة بن عبيدة بن منقذ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية خرج مع ابن الأشعث فقتله

الحجاج. ينظر: الأصفهاني: الأغاني، ١١/ ٢٩١.

(٩) شعره، شعراء أمويون، ٤/ ٣٣٧.

وقال أبو الطفيل^(١) (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م) يرثى ابنه وقد قتل مع ابن الأشعث:

وسار من أرض خاقان التي غلبت أبناء فارس في أرجائها غلبا
حتى وردت حياض الموت فانكشفت عنك الكتاب لا تخفى لها عقبا
ومن سجستان أسباب تزيتها لك المتية حيننا كان مجتبا^(٢)

كان البراء بن قبيصة بن ابي عقيل مع الحجاج فانهمز، فقال الحجاج لا أمته إلا أن أضربه ضربة بالسيف، فقال:

أخوف بالحجاج يوماً ومن يكن طريدة ليث العراقين يغرق^(٣)

وصبر آل سعيد بن العاص مع الحجاج فقال عبيد بن موقف كاتب الحجاج ومولاه:

لعمري لقد فرّ البراء وابن عمه وفرت قريش غير آل سعيد^(٤)

وقال العجاج يمدح الحجاج ويعرض بأصحاب ابن الأشعث:

فوجدوا الحجاج يأبى الهضاً

لا فانياً ولا حديثاً غصاً

ومن صريح الأكرمين محضاً^(٥)

(١) عامر بن وثالة بن عبدالله الكناني شاعر أموي مقل. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ح ١٥/١١٤؛ البغدادى: خزانة، ٣/٤١.

(٢) أبو الطفيل، عامل بن وثالة الكناني (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م): ديوانه، تحقيق. الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٢٧.

(٣) البلاذرى: أنساب، ١١/٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٧.

(٤) يعني مصعب بن عبدالله بن عقيل. نفسه، ١١/٣٤٧.

(٥) ديوانه، ٩١. ينظر: أيضاً رائيته، ٣٩٢ وما بعد. ونونية الفرزدق في ديوانه، ٢/٣٢٨.

وفي سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)^(١) كانت وقعة دير الجماجم^(٢)، فقاتله فيها سفيان بن الأبرد الكلبى، فقال أعشى همدان وكان مع ابن الأشعث:

وكرت لعينا خيل سفيان كَرَّةً بفرسانها والسّمهرى مَقْصدا
وسُفيان يهديها كأنَّ لواءه من الطّعنِ سِنْدًا باتَ بالصَّبغِ مُجسداً^(٣)

توثق هذه القصيدة سير المعركة بوضوح تام فتعبر عن أثر الشعر في طبيعة الحدث التاريخي، فالشاعر يصف طبيعة هزيمة العراقيين وتشتت جموعهم، وكيف كان الحجاج يكافحهم حيث يقول:

فما لبث الحجاج أن سلَّ سيفه علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيتُه معائنا ملقَى مُعوذاً^(٤)

ويبدو أن الأعشى قالها بعد هزيمة ابن الأشعث وانتصار جيش الحجاج؛ لأن فيها إطراء لشجاعة الحجاج كمحاولة لكسب وده وتخليص رقبة من سيفه، ولكنه لم يفلح.

وقال أحد الشعراء:

إن يهلك الحجاج فالمصرُ مصرنا وإنا فمثنوانا بدير الجماجم^(٥)
وقال آخر:

ضرباً يُزيل الهامَ عن مقيله ويذهلُ الخليلَ عن خليله^(٦)

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٤ وفيه (سنة ٨٢)؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٥٧.

(٢) بظاهر الكوفة، والجمجمة: القدح من الخشب، وسمي بذلك لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٥٠٣-٥٠٤ (دير الجماجم).

(٣) ديوانه، ٣٢١.

(٤) ديوانه، ٣٢٠.

(٥) البكري: معجم ما استعجم، ٢/ ٥٧٤. والأبيات للضحك اليربوعي.

(٦) المسعودي: مروج، ٣/ ١٣٣. ينظر في هذا المكان ما قاله النابغة الجعدي.

وحذرت ليلي الأخيلية^(١) (ت، ٨٠هـ/٧٠٠م) عبد الرحمن بن الأشعث من
محاربة الحجاج فقالت:

فدونكها فذق كأساً قتولاً على طعمين: مَقُورٍ وَسُمٍّ^(٢)

وأخفق ابن الأشعث في ثورته بعد أن انتبهت الترك ما كان بيد العرب الذين
معه، فَضَّلَ نفسه في الطريق^(٣). فكانت هزيمته القاتلة في مسكن سنة (٨٣هـ/
٧٠٢م)^(٤) تمهيداً لمقتله في سنة (٨٥هـ/٤٠٧م) حين جرى برأسه إلى الحجاج فقال:

أبى حينه والموت إلا تهوراً فصادفه عبلُ الذراع شَتِيمٌ
كرهه المحيا بأسلِّ ذو عزيمةٍ فروسٌ لأعناقِ الكُماةِ أزيماً^(٥)

وحين أرسل رأس ابن الأشعث إلى عبدالملك، قال متمثلاً:

أرادت عِراراً بالهوان ومن يُرد لعمري عِراراً بالهوانِ فقد ظلم^(٦)

أتى الحجاج بأعشى همدان، فقال: إيه يا عدو الله! أنشدني قولك: "بين الأشج
وبين قيس"^(٧)، أفنذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك؛ قال: بل أنشدني هذه؛
فأنشده داليتها التي يقول في مطلعها:

أبى الله إلا أن يُتمم نُورَه ويُطفئ نورَ الفاسقين فيخمدُ^(٨)

(١) ليلي بنت الأخيل من عقيل بن كعب، شاعرة إسلامية أموية صاحبة توبة الحمير.

ترجمتها: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٦٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ١١/ ١٩٤.

(٢) ليلي الأخيلية (ت، ٨٠هـ/٧٠م): ديوانها، تحقيق خليل العطية وإبراهيم العطية (دار القلم،
الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ١٦٦.

(٣) أبو عبيدة: النقائص، ١/ ٤١٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٦٦، ٣٨٩.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩.

(٦) المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠.

(٧) الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٨) ديوانه: ٣٢٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٧٦.

حتى أكملها، فقال: أهل الشام: أحسن، اصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرّون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف إلا يكون ظهر وظفر، وتحريضاً علينا، وليس عن هذا سألتك، أنفذ لنا قولك:

بين الأشج وبين قيس باؤخ

فأنفذها، فلما قال:

بَخْ بَخْ لَوَالِدُو وَلِلْمَوْلُو

قال الحجاج: لا والله لا تبخّج بعدها لأحد أبداً، فقدمه ف ضرب عنقه^(١). وكان الأعمشى هجا الحجاج في عدة قصائد، منها قوله:

مَنْ مُبْلِغِ الْحِجَاكِ أَنْسَى قَدْ نَدَبْتُ إِلَيْهِ حَرْبًا
حَرْبًا مَذْكَرَةً عَوَانَا تَتْرُكُ الشُّبَانَ شُهْبًا
وَصَفَقْتُ فِي كَفِّ امْرِئٍ جُلْدٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ عَبَا
لَابْنِ الْأَشْجِ قَرِيعِ كَنْدَةَ لَا أَبِين فِيهِ عَتْبَا
أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنِ الرَّئِيسِ وَأَنْتَ عَلَى الْقَوْمِ لَعْبَا
نَبِثْتُ حِجَاكِ ابْنَ يَوْسُفَ خَرًّا مِنْ زَلْقٍ قَتْبًا^(٢)

مما يجعل هذه الثورة ذات نزوع طبقي وديني نتيجة شدة وطأة الحجاج على أشراف أهل الكوفة، إذ أنف أشراف القبائل من معاملة

(١) الطبري: تاريخ، ٦/٣٧٨. والشعر للأعمش، ديوانه، ٢٣٢. ينظر موقف آخر للأعمش عند

الأصفهاني: الأغاني، ٦/٥٨ وديوانه، ٣٤٢.

(٢) ديوانه، ٣١١-٣١٢.

الحجاج الجارحة، وهو ممثل سلطان الدولة، وهو ما يعكسه شعر أعشى همدان^(١).

وحين رأى عبدالملك من الحجاج إسرافاً في قتل الأسرى كتب إليه في أسفل كتابه:

إذا أنتَ لم تترك أموراً كرهتها وتطلب رضائي بالذى أنا طالبه

في سبعة أبيات، فأجابه الحجاج في أسفل كتابه في سبعة أبيات أيضاً:

إذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى إذاك فيومى لا تزولُ كواكبُه^(٢)

وغزا المفضل^(٣) بن المهلب بن ابي صفرة (ت، ١٠٢هـ / ٧٢٠م) سنة (٨٥هـ / ٧٠٤م)^(٤) خراسان فقال كعب بن معدان الأشقرى:

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشرٍ عصاببَ شتى ينتوون المفضلاً^(٥)

وفي سنة (٨٥هـ / ٧٠٤م)^(٦) أراد عبدالملك خلع أخيه عبدالعزيز، فنهى عن ذلك، فلما توفى بمصر في جمادى الأولى من هذه السنة، وكان الحجاج زين لعبد الملك بيعة الوليد فأوفد وفدًا عليهم عمران^(٧) بن عصام العنزى، فقال:

أمير المؤمنين إليك تُهدى على السناى التحية والسلاماً

(١) فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبدالهادي أبو زيد، مراجعة حسين مؤنس (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ٢٣٩، ٢٤٠-.

(٢) المسعودى: مروج، ٣/١٣٤-١٣٥؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/٣٥-٣٦.

(٣) الأزدي، أبو غسان، اشترك مع أخيه يزيد في ثورته. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٧/٤٩٦؛ ابن حجر: تهذيب، ١٠/٢٤٦.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/٣٩٧.

(٥) شعراء أمويون، ٢/٤١٤. ينظر إشارات بيزيد بن المهلب في غزو قلعة (بادغيس): ٢/٤١٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/٤١٢-٤١٣.

(٧) القاص الشاعر. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٨/١١٩.

أجبنى فى بنيك يَكُن جوابى لهم عاديةً ولنا قواما
فلوان الوليدَ أطاعُ فيه جعلتَ له الخِلافةَ والذُّماما^(١)

وبعد أن فرغ الشاعر من إنشاد قصيدته، قال له عبدالمملك: يا عمران، إنه
عبدالعزیز، قال: احتل له يا أمير المؤمنين^(٢). وهذا ما يشكك بنوايا عبدالمملك نحو
أخيه حين تمثل فقال:

يا أيها الممنى أن تكون فتىً مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
إن ترحل العيس كى تسعى مساعيه يشفقُ عليكَ وتعمل دون ما عملا^(٣)

وكان نابغة^(٤) بنى شيان (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م) منقطعاً على عبدالمملك مداحاً له،
فدخل إليه في يوم حفل والناس حوالياه وولده قدامه، فأشده:

لابنك أولى بملكك واليدو ونجمٌ من قد عصاك مُطرحُ
داود عدل فاحكم بسيرته ثم ابنُ حربٍ فإبئهم نصحوا^(٥)

فتبسم عبدالمملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع؛ فعلم الناس أن رأيه خلع
عبدالعزیز^(٦).

ولعل ذلك حصل بتوجيه من عبدالمملك كما فعل مسكين الدارمي حينما أشار إلى
تولية يزيد بن معاوية، ثم أضاف إليها سيرة داود بتأثير نصارنيتها، وما يؤكد قول

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/٤١٣؛ ابن كثير: البداية؛ ٩/٥٩.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/٤١٤.

(٣) الخارجي، محمد بن بشير: شعره، تح: محمد خير البقاعي (درا قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،
دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ١٠٣.

(٤) عبدالله بن المخارق بن سليم الشيباني. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٧/١٠٤؛ الأمدى: المؤلف،
٢٩٤.

(٥) النابغة الشيباني، عبدالله بن المخارق (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م): ديوانه: تحقيق عبدالكريم إبراهيم
يعقوب (وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧م)، ٢٢٣-٢٢٤ مع اختلاف الترتيب.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٧/١٠٦.

عبد العزيز: لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلاً ضيقاً فأوردها موردًا خطرًا^(١).
وهو ما يعكس طبيعة التأسى عليه عند الفرزدق في قوله:

إن ابن ليلى بأرض النيل أدركه وهم سراع إلى معروفه، القدر^(٢)

كما يشير إلى اثر عبد العزيز في نشاط الشعر بمصر، فبمجرد أن مات خد هذا
النشاط الطارئ^(٣).

وفي هذه السنة بايع عبد الملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده لسليان، وجعلها ولي
عهد المسلمين، وكتب بيعته لهما إلى البلدان^(٤). وقال حين كتب إلى الوليد بوصيته،
منها قوله:

أنفوا الضغائن عنكم وعليكم عند المغيب وفي حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم إن مُدْفَى عُمري وإن لم يُمدد
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم بمسود منكم وغير مسود
إن القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنف وبطش باليد
عزت فلم تكسر، وإن هي بددت والوهن والتكسير للمبدد^(٥)

وفي سنة (٦٨هـ/٧٠٥م)^(٦) كان هلاك عبد الملك بن مروان، إذ دخل عليه
الوليد فجعل يبكي عليه. وقال: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال عبد الملك:

ومشتغل عنا يريد بنا الردى ومستعبرات والعيون سواجم

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ١/١٨٦.

(٣) ضيف، العصر الإسلامي: ص ١٦٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/٤١٦.

(٥) المسعودى: مروج، ٣/١٦٦.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/٢٩٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/٤١٨.

أشار بالمصرع الأول إلى الوليد، وأشار بالمصرع الثاني إلى نسائه، وهن المستعبرات، وقيل إنه قال:

كم عائِدِ رَجَلا وليس يعودُه
إلا لينظِرَ هل يراه يَموتُ^(١)
ورثاه أحد الشعراء فقال:

سفاك ابن مروان من الغيث مُسبِلُ
أجشُّ سَمَاحِي يَجودُ ويهطلُ
فما في حَيَاةٍ بعد موتِكَ رَغبةٌ
لحرُّ وإن كُنَّا الوليدُ نُؤمِلُ^(٢)

لقد كان عهد عبد الملك بن مروان من العهود التي شهدت أحداثاً سياسية مهمة أثبت من خلالها على حنكة سياسية ومقدرة ناجحة فاستطاع تثبيت أركان دولته، وتلازم ذلك مع طول مدة حكمه، فاهتم الشعر والشعراء وتفاعل معهم، فكان يرى في مدح كعب بن معدان الأشقري للمهلب بن أبي صفرة^(٣) وولده أنموذجاً من تلاحم الشعر مع الأحداث والشخصيات.

(١) المسعودي: مروج، ٣/ ١٦٠.

(٢) البلاذري: أنساب، ١١/ ٢٦٥.

(٣) المرزباني: معجم الشعراء، ٢٣٦.